يصدرها حزب العمل الاشتراكي العربي - لبنان

الثوري

« الثوري » تضيء شعلتها السادسة عشرة

السلاح الاعلامي
في الميدان

العدد (٢٧٩) ١ تشرين الأول ١٩٨٦ السنة السادسة عشرة - الثمن ٥ ل.ل.

التعليم في لبنان :

بين غلاء الخاص
واهمال الرسمي
طلابنا يدفعون الثمن

حركة « الحياد »
في مؤتمرها الثامن :

النهج الذي اعاق اطراد الثورة العالمية
ضد الامبريالية
والظاهرة التي فقدت حوافز وجودها

احمد الزين في
« الدبور »

خطوة جادة
على طريق المسرح الشعبي

الطريق الشرق

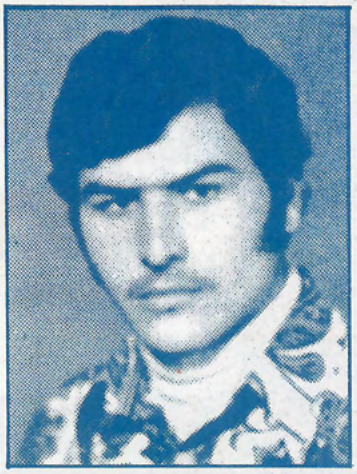

الرفيق الشهيد
احمد محمود يوسف

- مواليد طير حرفا ـ صور ١٩٥٦ .
- التحق بصفوف الحزب اوائل عام ١٩٧٥ .
- استشهد في بيروت ٧ ـ ١٠ ـ ١٩٧٥ .

الرفيق الشهيد
علي حسين ارزوني

- مواليد شحور ـ صور ١٩٥٨ .
- التحق بصفوف الحزب اوائل عام ١٩٧٣ .
- استشهد في بيروت ١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٧٦ .

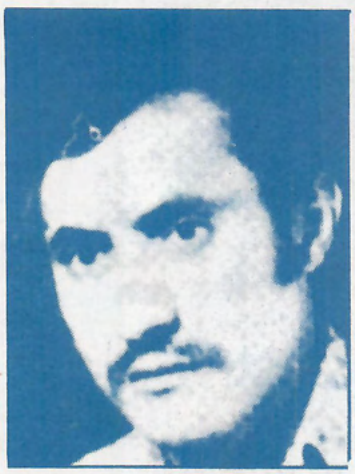

الرفيق الشهيد
علي حسين جابر

- مواليد النبطية ١٩٤٨ .
- التحق بصفوف الحزب عام ١٩٧٥ .
- استشهد في العيشية ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٩٨٦ .

الرفيق الشهيد
لطفي حسين شتيوي

- مواليد مرجعيون ١٩٥٥ .
- التحق بصفوف الحزب اوائل عام ١٩٧٦ .
- استشهد في مرجعيون ٢١ ـ ١٠ ـ ١٩٧٦ .

مشاعل التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن البروليتاري الأممي

هذه المجلة

□ « يجب ، يجب بالضرورة وقبل كل شيء آخر ... ايجاد الصلة الفعلية بين المدن على اساس العمل المشترك المنتظم ، واني أؤكد باصرار ان الشروع بايجاد هذه الصلة الفعلية غير ممكن الا على اساس الجريدة العامة .. » .

□ « (يجب ان) تصبح هذه الجريدة جزءاً من منفاخ حدادة هائل ينفخ في كل شرارة من شرارات النضال الطبقي والسخط الشعبي ويجعل منها حريقا عاما ، وحول هذا العمل ، الذي يبدو بريئا جدا وصغيرا جدا بحد ذاته ، ولكنه منتظم وعام بكل معنى الكلمة ، يتعبا بصورة منتظمة ويتعلم ، جيش دائم من مناضلين مجربين » .

« لينين »

الثوري

يصدرها حزب العمل الاشتراكي العربي - لبنان

أسبوعية - سياسية

صدرت في تشرين الأول ١٩٧١

العدد (٢٧٩) السنة السادسة عشرة ١ تشرين الأول ١٩٨٦

في هذا العدد

□ كلمة الثوري

■ اختراق حبيقة لكانتون جعجع ، والمسخرة التي تتكرر باسم « المجتمع المسيحي » ٤

□ الشؤون اللبنانية

■ التعليم في لبنان : بين غلاء الخاص واهمال الرسمي طلابنا يدفعون الثمن ٨

■ يوميات المقاومة الوطنية اللبنانية ١٢

■ كرمس « تعا لوا نفرح » في صيدا : حضور كبير مع الفرح والهدايا ١٤

□ الشؤون العربية

■ يحدث في مصر مبارك الآن ١٥

■ السودان : حكومة المهدي والمعركة المقبلة ١٦

■ هل بدأ العدوان الرجعي ضد اليمن الديمقراطي ١٧

□ الشؤون العالمية

■ السلاح الاعلامي في الميدان ١٨

■ حركة « الحياد » في مؤتمرها الثامن : النهج الذي اعاق اطراد الثورة العالمية ضد الامبريالية والظاهرة التي فقدت حوافز وجودها ٢٠

■ التشيلي : باب التغيير المفتوح ٢٩

□ الشؤون الثقافية

■ احمد الزين في « الدبور » خطوة جادة على طريق المسرح الشعبي ٣٢

الاشتراكات

سنوياً : - لبنان وسوريا ١٢٥ ل.ل. - البلاد العربية ٢٥٠ ل.ل.
- في الخارج ٥٠ دولاراً أميركيا .

أول كلمة

« الثوري » تضيء شعلتها السادسة عشرة

مع صدور هذا العدد (٢٧٩) تضيء « الثوري » شعلة جديدة ، هي السادسة عشرة في مسيرتها التي بدأت في تشرين الأول ١٩٧١ !..

وعشية هذه المناسبة ، توقفنا في « هيئة التحرير » امام كيفية الاحتفال : هل نجري مسابقة كما فعلنا في العام الذي مضى ، ام نستعرض الاعداد الماضية ، فنقف عند اهم ما كتبته ... ام نحتفل هذا العام باسلوب آخر ؟

وبعد نقاش ، اقر الرأي ، واتفقنا على :

اولاً : اجراء استفتاء لقراء « الثوري » تحت عنوان : « مساهمة في تطوير المجلة » من جوانبها المختلفة .

فما دامت المناسبة محطة للوقوف امام اعمال عام كامل ، وقراءة صفحاته بغية تكريس الصائب وتصويب الخاطيء ... وبالتالي هي محطة للمراجعة النقدية ، وجدنا انه لا بد من سماع رأي القاريء الكريم . فمن اجدر في نقد مجلته وتطويرها ، وهو الذي واكبها نشرة دورية ومجلة اسبوعية ونصف شهرية وشهرية ، واعطاها من امكانياته ما مكنها ويمكنها من الاستمرار والتقدم والثبات . لتبقى صوتاً للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، صوتاً للوطنيين والتقدميين العرب عامة ، وحملة رايات العنف الثوري المسلح خاصة ... راية خفاقة للتحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن البروليتاري الاممي .

ثانياً : دعوة القراء والاصدقاء والرفاق لانجاح حملة التبرع لمكتبة « الثوري » . فباسهامك تغني مكتبة « الثوري » ... لان في اغنائها ما يقدم خدمة جلى للمادة التي تصل اليكم .

ثالثاً : الكتابة حول اهمية الاعلام ، كسلاح في ميدان الصراع .

هكذا سنحتفل بالمناسبة ...

ساهموا في النقد ... ساهموا في اغناء مكتبة « الثوري » .

واخيراً ، نتقدم من كافة القراء الكرام باعتذارنا الشديد بسبب تأخر الصدور . ولكن عذرنا في ذلك اننا لاحقنا الحدث الذي حصل في بيروت الشرقية وسجلنا مدلولاته .

اختراق حبيقة لكانتون جعجع والمسخرة التي تتكرر باسم « المجتمع المسيحي » !

الرؤية الاستباقية لرصد تطورات احداث المنطقة الشرقية

يوم نفذ جعجع انتفاضته في اوائل آذار ١٩٨٥ ، تساءلنا : « هل انتهى دور امراء الأزمة العامة التقليديين ، ليحل محلهم امراء جدد ، لكي يجددوا شباب الأزمة ، بعد ان دخلت مرحلتها الثالثة وهي متعبة من شدة الارهاق الذي سببته لها المراوحة في المكان ، ام ان ما يحدث هناك في الكانتون الطائفي الفاشي ، الذي يسمونه : « المجتمع المسيحي » ، بشير انذار لزعماء الطوائف السياسيين كي يحسبوا حساب المنزلق الذي وصلوا اليه ببناء جيوشهم الطائفية ليحصنوا كانتوناتهم على حساب وحدة الوطن وخيار الوطنيين التقدمي ؟ »[١] .

ورغم اعترافنا ، حينئذ ، بكون « الفاشية التي انهزمت في الجبل وبيروت ما تزال هي القوة الأكثر نفوذاً بين اوساط المسيحيين »[٢] ، بيد اننا سجلنا ان مسيرة سعد حداد وبشير الجميل وسمير جعجع ، عبارة عن سلسلة مجازر ومذابح ، وتوقعنا حدوث « مزيد من المجازر ومزيد من التفتيت والكانتونات الطائفية »[٣] ، ولعل النظرة الاستباقية تتجلى اكثر ما تتجلى بكلامنا عن انغلاق العقل الماروني واندفاعه لتغذية مشاعر العداء لمحيطه العربي وتشبثه بامتيازاته وسعيه لتوسيعها ، ان ذلك كله سيقود المسيحيين الذين تنطق القيادة المارونية باسمهم للانتحار لهم وللمجتمع اللبناني من بعدهم ! ..

سجلت هذه الرؤية في آذار ١٩٨٥ ، وها هي تطورات الاحداث في الكانتون الماروني ، تدعونا للكتابة عنها مرة أخرى !..

ان الاختراق الذي نفذته قوات قائد « القوات اللبنانية » السابق ، ايلي حبيقة ، يوم السابع والعشرين من ايلول الجاري ، يحمل اجابة صريحة على ان تعاقب الاحداث الدامية ، لا يعدو عن كونه تكراراً للمسخرة التي تعبث بأمن وحياة الانسان فيما يسمونه بـ « المجتمع المسيحي » . عبثاً ينذر بقوة ليس القيادات الطائفية المارونية المسؤولة الأولى عن المنحدر الذي بلغه لبنان ، فحسب ، بل انه انذار لجميع القيادات الطائفية المسيحية والاسلامية التي لم تتميز عن بعضها بغير المنافسة في الاجرام والقمع والاستغلال وامتصاص عرق ابناء الشعب ودمائهم . وفضلا عن ذلك فان وقائع الفترة منذ آذار حتى الآن قد اكدت ما توقعناه بخصوص تكرار المجازر البشرية ليس لهدف عام ، وانما للدفاع عن موقع هذا الزعيم او ذاك من الزعماء الذين نصبوا انفسهم بقوة السلاح والبطش الدموي ! ..

ان تطورات الاحداث قد القت مزيداً من الضوء على الوضع ، مما يتيح للرؤية مجالاً جديداً لان تطل على آفاق التطورات الجارية اليوم هناك . فكيف ينبغي فهم احداث السابع والعشرين من ايلول ١٩٨٦ ، وما هي آفاق تطوراتها اللاحقة ؟

تآكل « القوات » ومأزق التطرف الفاشي

- ١ -

لقد اختلفت التفسيرات لفهم انقلاب جعجع ـ حبيقة على امين الجميل في آذار ١٩٨٥ ، اذ اعتبره البعض مناورة لدعم موقف رئيس الجمهورية امام الضغوط التي كان يتعرض لها من قبل خصوم القيادة المارونية . في حين ان البعض الآخر قد رأى فيه انقلاباً نفذته قوات عسكرية مهزومة ، لتلقي بمسؤولية الهزيمة العسكرية على عاتق قيادتها السياسية . غير ان تسلم ايلي حبيقة لقيادة « القوات اللبنانية » ، واندفاعه بطريق الوفاق الذي انتهى به للتوقيع على الاتفاق الثلاثي ، قد كرس اعتبار « القوات » بديلاً لأمين الجميل والقيادة السياسية المارونية !..

- ٢ -

يوم صدر الاتفاق الثلاثي ، ممهوراً بتواقيع رؤساء : الحزب التقدمي الاشتراكي وحركة « أمل » واللجنة التنفيذية للقوات

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) هاشم علي محسن : « من بشير الى سمير : حكاية الازمة المتفاقمة والحرب الدائمة » ص ١٦٨ ، ١٨٠ ، ١٨٤ على التوالي

اللبنانية ، ارتسمت علامة استفهام كبرى حول قدرة حبيقة على الصمود بوجه اجماع القيادة السياسية والدينية المارونية على رفض الاتفاق . اذ قبل اقدامه على التوقيع كان الاجتماع الذي عقدته تلك القيادة في بكركي بما فيها سمير جعجع ، قد سجل رفضه للاتفاق الثلاثي . ولم يمضي وقت طويل ، حتى نفذ جعجع انقلابه الدموي في الخامس عشر من كانون الثاني الماضي ، باسم اجماع القيادة المارونية السياسية والدينية !..

لقد نجح الانقلاب باقصاء حبيقة واعادة جعجع لمركز قيادة القوات . بيد ان ذلك النجاح لم يكن ابرز المؤشرات لحضيض منحدر تدهور القوات ، التي راحت تأكل بعضها البعض ، فسحب ، بل كان دليلاً جديداً على انغلاق الفكر الماروني الانعزالي وعجزه عن قراءة تطورات الاحداث ، وتحجره عند خطوط تماس امتيازاته !..

- ٣ -

ان العودة لظروف تشكيل « القوات اللبنانية » ، كفيلة بتأكيد حالة التردي التي تعيشها . اذ انهم صنعوها لتكون قوتهم الرادعة لاعدائهم ، واداتهم الضامنة لامنهم وحمايتهم ، وليست اداة ارهاب وقمع وتسلط عليهم !..

ان العودة لظروف التشكيل توضح ان نشأتها لم تكن عفوية ، وانما جاءت تعبيراً عن وعي القيادة المارونية السياسية لتفاقم ازمة نظامها العامة ، وعجز الجيش اللبناني عن ان يكون اداتها لقمع حركة الجماهير الشعبية الصاعدة التي كانت تهتف بغضب : « بدنا نأكل جوعانين ... بدنا خبز بدنا طحين » . ومعلوم فان توفير الخبز للجماهير سيكون على حساب الامتيازات التي تتمتع بها القيادات الطائفية عامة والمارونية على وجه الخصوص . لذلك كانت الحاجة ماسة لوجود جيش طائفي ماروني ينفذ قرارات القيادة السياسية المارونية ويحمي امتيازاتها ويقمع خصومها !..

واذن ، فقد جاء تشكيل القوات تلبية لحاجة موضوعية ، بغية اداء مهمة محددة . بيد ان صعود بشير الجميل لقيادة هذه القوات قد عجل بتحولها الى طرف اساسي من اطراف القيادة المارونية ، واتاح لها ان تشغل مركز القيادة العسكرية بين اطراف هذه القيادة . وما احداث السابع من تموز عام ١٩٨٠ ، التي عرفت باحداث الصفرا الدموية . وهيمنة الكتائب ممثلة بشخص بشير على قيادة القوات ، الا دليلاً على صعودها واتساع نفوذها ، لدرجة دفعت بأمين عام حزب الوطنيين الاحرار داني شمعون للفرار بطائرة هيلوكوبتر ، ووصفه لممارسات بشير الجميل ، بالجريمة المنكرة !..

ان زخم صعود « القوات » واتساع دورها ونفوذها قد ازداد بقفز رمزها العسكري لرئاسة الجمهورية بعد ان استعان بالقوات الصهيونية لاحتلال لبنان وتدنيس ترابه الوطني عام ١٩٨٢ !..

- ٤ -

ولكن الخط البياني لصعود القوة العسكرية المارونية المتطرفة بفاشيتها ، قد بدأ بالتراجع منذ اغتيال بشير واستغلال أمين للفرصة المتاحة للقفز على المركز الذي كان اخوه يشغله . ففي ذلك الوقت بدأت القوات تعاني من انقسام واضح ، معاناة لم يكن استمرارها دليلاً على تراجعها ، فحسب ، بل كان مؤشراً جديداً على المأزق الحرج الذي ولجته القيادة السياسية المارونية . ولم تكن « انتفاضة » جعجع - حبيقة على أمين الجميل والقيادة الكتائبية ، سوى المخرج الطبيعي لمتابعة القوات لطريقها الذي رسمه مؤسسها والذي تعمد بالدم منذ عام ١٩٨٠ !..

لقد كانت القوات تتصرف بشكل مستقل عن القيادة السياسية خلال المنعطفات . فيوم قررت تطهير صفوفها من الشماعنة . بغية مركزة قرارها . كان القرار بمبادرة منها . ويوم فرض بشير الجميل نفسه رئيساً للجمهورية . كان ذلك الفرض تأكيداً لتفسير داني شمعون لاحداث صفرا ، بكون بشير يحاول ان يحل محل شمعون بمركز القيادة المارونية السياسية . ومع ان هذا الأخير حاول ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية بعد موت بشير ، بيد ان أمين قطع عليه الطريق . لذلك كانت انتفاضة الثاني عشر من آذار ١٩٨٥ ، عودة لموقع القرار المستقل ومتابعة تجاوزها للقيادة المارونية السياسية . ولكن ماذا كانت النتيجة التي حصدتها القوات من تلك العودة ؟

ان اية دراسة لتطورات الاحداث لا بد ان تؤكد على تحجر الفكر الماروني وعجزه عن تأمل الوقائع وفهم دلائلها . وليس ادل على هذه الحقيقة من ظاهرة تطور دور القوات وتحولها من قوات عسكرية الى موقع لمناطحة القيادة المارونية السياسية والدينية . ذلك ان تحول الاداة لقوة مناطحة بينة تدهور وانحطاط . ونلحظ ذلك من حجم برك الدم التي بدأت تغمر ما يسمى بـ « المجتمع المسيحي » . فتنفيذ مركزة قرار القوات بشكل مستقل عن قيادتها السياسية والدينية عام ١٩٨٠ ، قد كلفها خمسمائة وثلاثين قتيلاً وجريحاً . اما قرار اقصاء حبيقة فقد كلفها خمسمائة قتيل فضلاً عن مئات الجرحى حسب معلومات خصوم جعجع ، الذي ادعى ان انتصاره على حبيقة سيكون آخر معارك ضمان أمن « المجتمع المسيحي » من الخصوم الداخليين . وها هو يحمل الخارجين على قيادته مسؤولية اقلاق أمن مجتمعه المسيحي . ولم يكتف بالتفسير البوليسي لتطورات احداث كانتون ، وانما راح يناطح القيادتين السياسية والدينية اللتين يقف ورائهما الفاتيكان واميركا واوروبا الامبريالية ، بمن فيها الام الحنون التي ارضعت الطفل الماروني حتى صار كانتوناً طائفياً يحاول الاقتداء بكيان الاغتصاب الصهيوني !..

ان أمن « المجتمع المسيحي » قد ازداد تدهوراً منذ الانقلاب على حبيقة . ويكفي ان نذكر بحوادث العاشر من آب الماضي واغتيال الملحق العسكري الفرنسي وانفجارات السيارات المفخخة ، وخاصة متفجرة عين الرمانة وحريق فرن الشباك ، وصولاً لاحداث السابع والعشرين من ايلول وما نجم عنها واعقبها !..

ان عقدة الفكر المثالي تتجلى بعجزه عن رؤية آفاق التطورات التي تقود اليها حركة الواقع الموضوعي المحكومة بقوانينها الخاصة التي تحد من قدرة الانسان على التحكم بها ، لدرجة قد تقوده الى عكس ما يريده ويشتهيه . وكما برهنت وقائع التاريخ الكبرى ، فان التخبط يمسك باذهان المثاليين وقت تفاقم الازمات ، فيهربون الى الامام حتى تتحطم رؤوسهم على صخرة الواقع الموضوعي !..

ان تطورات الاحداث منذ السادس والعشرين من شباط ١٩٧٥ ، يوم اشعل الفاشيون فتيل الحرب الأهلية تؤكد عجزهم عن الرؤية وتخبطهم في خضم الظروف التي يخلقونها بممارساتهم . فقد رفضوا كل الحلول والاقتراحات التي قدمت لهم ، رفضاً قادهم وقاد المجتمع معهم لمستنقع تفاقم الأزمة العامة التي ما يزالون يخوضون بوحوله !

ولكن اذا كانت هذه الوقائع الدموية التي فجرتها أو سببتها القوات دليلاً على تآكلها وتمزقها ومأزقها الحرج ، فما هي دلائل الاقتتال الذي نشب يوم السابع والعشرين بين انصار حبيقة واعوان جعجع ؟

حبيقة المهزوم وجعجع المأزوم

- ١ -

ظهر جعجع يوم الخامس عشر من كانون الثاني الماضي ، وكأنه ينفذ قرار رفض الاجماع الماروني للاتفاق الثلاثي . وعززت ذلك الظهور عودته لحزب الكتائب والايحاء بانهاء الانفصال عن المؤسسة السياسية الأم . ولكن المؤتمر الأخير الذي أحل سعادة محل كرامة ، اعاد الصراع بين عائلة حزب الكتائب الوريثة لتراث الشيخ بيار ، وبين جناح جعجع في القوات اللبنانية ، للواجهة من جديد . فما ان حاول جعجع تنفيذ قراره باعادة تأهيل « القوات » ، حتى تمرد مشعلاني مدعوماً من قبل فؤاد أبو ناضر ابن اخت الوريث الشرعي لممتلكات عائلة الشيوخ فتدخل سعادة المحسوب على جعجع للحيلولة دون انقسام القوات « جغرافياً » بين الاشرفية من ان يتبع ذلك انقسام بين المتن وكسروان أيضاً ، فتتشرذم قوات الطائفة الواحدة والحزب الواحد والعائلة الواحدة الى قوات للمناطق الجغرافية !..

- ٢ -

ولكن حركة تطورات الاحداث اتخذت منحى آخر ، غير المنحى الذي رسمه جعجع ـ سعادة . فالجيش الذي استخدموه ليكون اداة فصل بين المتقاتلين تجنباً لمزيد من اراقة الدماء ، قد اشغل موقعاً يتيح له ان يشارك بتقرير مصير الاحداث ، مشاركة فتحت باباً لحبيقة لان يتحرك على الموجة التي بثها مشعلاني بدعم من فؤاد أبو ناضر ، فاخترق خطوط التماس وتمدد في منطقة الاشرفية وفق خطة هادفة لالقاء القبض على عناصر جعجع المتواجدة في المنطقة ، واحتضان المزيد من الموالين والمؤيدين .

وقد حدث ذلك كله على مرأى من الجيش وسكان الاشرفية ، الامر الذي اربك جعجع وأثار شكوكه ، ارباكاً لم يتجاوز بعجزه عن مجابهة الاختراق فوراً وتطويقه بغية الحيلولة دون توسعه ، فقط ، وانما تجلى بعجزه عن استرداد مواقع القوات على خطوط التماس ، التي بادر الجيش للتمركز فيها بعد ان تركها جماعة حبيقة !..

لقد اقتحمت مجموعات حبيقة باشرافه المباشر خطوط التماس عند الساعة الخامسة والنصف صباحاً ، واستقبلتها عناصر القوات بالترحيب ، ثم انضمت اليها ، وحسب الخطة الموضوعة فقد واصلت استيلاءها على مواقع تواجد قوات جعجع ، باعتقال المعارضين لها وضم المؤيدين ، حتى بلغت ساحة ساسين في الاشرفية ، وهي موقع ستراتيجي ، ثم حاولت الاستيلاء على اذاعة صوت لبنان وتمددت حتى منطقة المتحف ـ حي السريان وبقيت حتى الظهر وهي تتوسع بالتراضي تارة والقتال تارة اخرى ، دون ان تتمكن قوات جعجع من ايقافها ، وكان مقدراً لها ان تستولي على المنطقة ليتخذ منها حبيقة مقراً لقيادته ، غير ان تدخل الجيش عند الظهر بذريعة وضع حد لاراقة الدماء ، وفض الاشتباكات بين المتقاتلين ، ليتضح فيما بعد انه تدخل للسيطرة على مواقع جديدة بغية تعزيز سيطرته على المنطقة ... ان تدخل الجيش قد احبط الهجوم واجبر جماعة حبيقة على الانسحاب !..

وما ان اتضح هدف الجيش بعد اذاعة بيانه الذي برر فيه تدخله بكونه تنفيذاً لخطة أمن بيروت الكبرى وليس لمجرد حقن الدماء كما فعل في احداث العاشر من آب الماضي بين جماعات مشعلاني وجعجع ... ما ان اتضح هدف الجيش حتى تأكدت شكوك جعجع ، بمنافسة الجيش له . فصب جام غضبه انتقاماً وأمر باغتيال قائد اللواء الخامس واحراق دار قائد الكتيبة الثالثة والخمسين من اللواء نفسه ، تنفيساً لغيظه وتأديباً للجيش الذي تجرأ على فضح عجز قوات جعجع والاعلان عن دوره بحسم المعركة ووضع حد لعملية الاختراق واستعادة خطوط التماس من سيطرة جماعات حبيقة !..

- ٣ -

ان الوقائع التي تعاقبت على امتداد ست ساعات متتالية ، قد أكدت هشاشة مواقع دفاع « القوات اللبنانية » . الامر الذي اعاد الى الاذهان هزائمها في الجبل والشوف وخاصة في منطقة بحمدون التي كانت محصنة لدرجة لا يمكن اختراقها ، وكذلك كان حالها في الاقليم وصيدا !..

ان سكان الاشرفية خاصة والكانتون الماروني عامة ، قد باتوا على قناعة بعجز قوات جعجع عن ضمان سلامتهم وحمايتهم من الهجمات المباغتة . وبقدر ما يكون اليقين راسخاً بهذه الظاهرة المثيرة للقلق ، فان رصيد الجيش سيرتفع هناك على حساب دور القوات وهيبتها . وفي هذه التطورات يتأكد القول المأثور : « ان التفكير الخاطيء البالغ نهايته المنطقية ، يصل حتماً الى عكس نقطة انطلاقه » . فجعجع الذي يصر على ابقاء القوات بذات الموقع الذي عينه مؤسسها ، وان تلعب الدور الذي لعبته وقت صعودها ، سوف يبقى يدور حول نفسه وقبضة المأزق الفاشي تضيق على خناقه ، حتى يتصدى له من يثأر لدم طوني فرنجية وعائلته وطفلته ، ودماء ضحايا مجازر الخامس عشر من كانون الثاني وما سبقه وما اعقبه ، اما حبيقة فرغم هزيمته فانه قد استعاد موقع الهجوم الذي فسره وعزز دوره باعتباره منافساً حقيقياً لجعجع ، يقف على أهبة الاستعداد لاستغلال هفوات خصمه ونقاط ضعفه ، ووقفة ستدفعه للتعاون مع كل المتضررين من ممارسات جعجع المأزوم وقواته المفككة !..

ان استعادة حبيقة لدوره ، وبروز الجيش بعد احداث السابع والعشرين ، كفيلان بعزل جعجع واحتواء قواته ، الأمر الذي يشير لحدوث مزيد من المجابهات والاختراقات والهزائم وبرك الدم التي سيبقى « المجتمع المسيحي » يسبح فيها طالما بقي خاضعاً لقيادة الذين حولوا قواته من اداة لضمان امنه الى شلل لسفلك دماء ابنائه ،

وسوف يبقى شبح حبيقة المهزوم يلاحق جعجع المأزوم في اليقظة كما في النوم !..

- ٤ -

فاذا كانت هذه هي حال جعجع ، فان حال القيادة المارونية التي أجمعت في بكركي على رفض الاتفاق الثلاثي . ليست بافضل منه . فهذه القيادة التي لم تترك فرصة للمناورة والمماطلة ، الا واستغلتها ، قد فوتت على نفسها فرصاً عديدة للخروج ، وان بصورة مؤقتة ، من مأزق تفاقم ازمتها !..

ان حالة العجز التي تعانيها القيادة المارونية ، هي شكل من الاشكال المعبرة عن عجز سائر القيادات الطائفية ، التي راحت تأكل بعضها البعض ، لدرجة لم تكتف معها بقيادة طوائفها لمقاتلة بعضها البعض فقط وانما حولت سلاحها الطائفي لميادين الاقتتال داخل طوائفها ، وشرذمت ابنائها الى شلل متصارعة وعصابات متقاتلة !

دور الحركة الوطنية وخطأ المخططين لاختراق الشرقية

- ١ -

لا ريب في ان الاختراق الذي نفذه حبيقة وجماعته يمثل حدثاً هاماً بالنسبة له ، خاصة وان الحوار الذي اجتمعت الحكومة ضمن اطاره ، ربما يهدد بتجاوز قضيته واغفال دوره !..

ولكن حدث الاختراق كشف عن امكانية قابلة لان تكون حقيقة مؤكدة على الارض ، يمكن تطويرها الى انتصار اشمل يجعل من شعار الوفاق بين اطراف استمرار الوضع الراهن ، فرصة مؤاتية !..

اننا لا نعرف الاهداف المحددة من قبل المخططين لعملية السابع والعشرين من ايلول الجاري . لذلك فاننا ننظر اليها من الناحية المنطقية نظرة تجعلنا نقدر ان يكون هدفها لا بالتمركز في منطقة الاشرفية ونقل خطوط التماس القائمة بين الكانتونات الطائفية ، الى داخل كانتون جعجع ـ الجميل . ونظراً لعدم بلوغ العملية لهذا الهدف ، فان المواطن العادي يعتبرها عملية فاشلة وغير موفقة !..

- ٢ -

ربما تضافرت عوامل عديدة على فشل عملية اختراق السابع والعشرين للمنطقة الشرقية ، غير اننا نعتقد ان اهم عوامل الفشل يتمثل بعدم مشاركة القوى الوطنية بالعملية . وفي تصورنا ان المخططين للعملية قد ارتكبوا خطأ حين اغفلوا هذه المشاركة التي كان يمكنها ان تكرر النجاح الذي احرزته معركة طرابلس ، والذي لولا مشاركة مقاتلي الحركة الوطنية فيها لكان يصعب خوضها او على الاقل لكان من الصعب عليها بلوغ هدفها !..

قد يقال ان مقاتلي الحركة الوطنية ما كان بوسعهم حسم المعركة مع « التوحيد » لصالح الموقف الوطني لولا المشاركة من قبل القوات السورية الخاصة وقوة الاسناد الفعالة . وسنسارع للتسليم بهذه الحقيقة التي باتت واقعة تاريخية معروفة وليس بالوسع نكرانها . ولكن التسليم بدور القوات العربية السورية ، لا يلغي أهمية مشاركة الحركة الوطنية ، التي اضفت على المعركة طابعاً لبنانياً وطنياً من جهة ، واتاحت للقيادة السورية فرصة المفاوضة التي كانت مستحيلة مع قيادة « التوحيد » ، من جهة اخرى !..

ربما يقال ان معركة السابع والعشرين من ايلول ١٩٨٦ تختلف عن معركة الثامن والعشرين من ايلول ١٩٨٥ . بكون معركة طرابلس كانت تهدف لاجبار قيادة « التوحيد » على القبول بايكال مهمة أمن المدينة للقوات العربية السورية ، لكي تمارس في ظلها جميع القوى السياسية بما فيها « التوحيد » نفسها ، حرية التعبير عن آرائها ومعتقداتها . في حين ان موضوع الاشرفية يختلف وسيلة وهدفاً . اذ ان أمرها محصور بين ابنائها وليس بوسع القوات العربية السورية تقديم الدعم الذي قدمته للقوى الوطنية في طرابلس . وسنسارع للتسليم بهذا القول ، ايضاً . بيد ان التسليم بما يميز بين الاشرفية وطرابلس لا يلغي ملاحظتي وتقديري بخطأ عدم مشاركة مقاتلي الحركة الوطنية !..

ان اصرارنا على هذه المشاركة ينطلق من كونها ضرورية لجعل النجاح حليفاً لعملية الاختراق وتمكين المخترقين من التمركز في المنطقة وعدم الخروج منها . اما تصورنا لطبيعة المشاركة وهدفها ، فيتحدد بتقدم مقاتلي الحركة الوطنية للسيطرة على خطوط التماس القائمة التي اصبحت خطوط تماس بين الكانتونات الطائفية ، في ذات الوقت الذي يقوم فيه جماعة حبيقة بعملية الاختراق والسيطرة على الاشرفية . فنكون بهذه المشاركة قد سيطرنا على خطوط التماس وشكلنا اسناداً وطنياً فعالاً للجماعة من جهة ومكناهم من التمركز في المواقع التي استطاعوا السيطرة عليها من جهة ثانية ، ونكون قد الغينا خطوط التماس واعدنا لمدينة بيروت وحدتها ، بقوة السلاح دون اكراه لأهلها طالما انهم مؤيدون للوفاق الذي ينشده حبيقة ، من جهة ثالثة !..

- ٣ -

ها اننا قد أوضحنا فهمنا لهدف المشاركة وطبيعتها ، ويبقى علينا ان نوضح تركيزنا على مقاتلي الحركة الوطنية فقط ، دون غيرهم من المقاتلين الموصوفين بالطائفية !..

ان معارك الحرب منذ عام ١٩٧٥ حتى الآن قد اكدت بما لا يقبل الجدل ، ان مقاتلي الطوائف لم يدخلوا قرية او منطقة ، الا وعبثوا فيها نهباً وقتلاً وهدماً واحراقاً . يقتلون النساء والشيوخ والاطفال ، ويبقرون الحوامل بحثاً عما في بطونهن ، لذلك فان مشاركتهم في اقتحام الاشرفية سيعني زيادة عدد الضحايا والمهجرين . مما يؤدي للفشل الذريع ، بدلاً من النجاح السريع الذي يجعل من الاشرفية مثالاً لعودة الوحدة وتحقيق الوفاق وازالة حدود الكانتونات الطائفية التي قسمت الوطن والشعب والاقتصاد !..

ان القيادات الطائفية لا يمكن ان تربي مقاتلاً وطنياً ينظر باحترام ومحبة لابناء وطنه ، بغض النظر عن دينهم وجنسهم ولونهم . وعلى العكس من ذلك تماماً ، فانها تحشو رؤوس مقاتليها بكل ما يفرق بين الوطن الواحد والطبقة الواحدة . فتجعلهم ينسون انتماءهم الاجتماعي . لكي يقاتل العامل اخاه العامل ويسفك الفلاح دماء اخيه الفلاح ، في نفس الوقت الذي يقبل فيه ان يمارس عليه الرأسمالي والاقطاعي سيادته واستغلاله !

التعليم في لبنان :

بين غلاء الخاص ، وإهمال الرسمي

طلابنا يدفعون الثمن

الحديث عن المؤسسة التعليمية الخاصة ، وإن أخذ جانب اقساطها المدرسية ، لا بد أن يمر عبر لمحة تاريخية موجزة جداً ، عن دور واهداف تلك المؤسسة ، التي رعى نشأتها رجال الدين ، واحتضنتها أديرتهم ، منذ القرن السابع عشر .

وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر خاصة ، اشتد ساعد هذه المؤسسات على ايدي الارساليات الأجنبية التي اخذت تغزو ثقافياً الوطن العربي . إن هذه المساعدة التي تلقتها المؤسسة التعليمية الخاصة في لبنان (جبل لبنان) وبعض المدن الرئيسية ، قامت على أساس التفتيت والتشرذم الثقافيين ، بغية التمكن من السيطرة الاستعمارية لاحقاً ، فكان التشويه المتعمد لتاريخنا ، والتغريب المقصود لثقافتنا ، من أجل سلخنا عن واقعنا وعزلنا عن محيطنا .

ومع الاحتلال الفرنسي المباشر للبنان في عشرينات هذا القرن ، حصلت المؤسسة التعليمية الخاصة على رعاية كاملة ، حيث بلغ عدد التلاميذ الموزعين على هذه المؤسسة ، نسبة ٩٠٪ من مجموع التلاميذ في تلك الحقبة .

ورغم الانتعاش المحدود الذي طال التعليم الرسمي أواسط الستينات ، إلا أنه افضى إلى هيمنة شبه تامة للتعليم الخاص راهناً ، حيث بلغ عدد التلاميذ الموزعين على التعليم الخاص حوالي ٦٥٠ الف تلميذ خلال العام ١٩٨٤ - ١٩٨٥ أي ما نسبته ٦٥٪ من إجمالي عدد التلاميذ[١] .

مؤشر ارتفاع الأقساط سجل ٢٠٪ والحرية المطلقة للادارة اقرت ٧٠,٤٪

إن تناول مسألة اكلاف التعليم الخاص له ما يبرره ، فهو يشكل مصاريف ثابتة بلغت خلال العام ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ ، ٣,٢٥ مليار ل.ل. ، وتدفع الأسر ما يزيد عن ثلث مداخيلها لقاء تعليم ابناءها ، .

وهذه الاكلاف التعليمية هي في ازدياد مستمر ، حيث بلغ ارتفاع الاقساط المدرسية لوحدها نسبة ٥٤,٧٪ للعام الدراسي ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ ، من خلال عينة اقساط ثلاث مدارس خاصة ، وان هذه النسبة مرشحة للازياد مطلع العام المقبل في ضوء التصحيح المرتقب للأجور . وما لا يوجد تبريراً له ليست الزيادة على الأقساط بحد ذاتها ، التي تتكرر كل عام بنسب تفوق سابقاتها ، وذريعة اصحاب المدارس في ذلك هي الزيادة التي طرأت على رواتب المعلمين من جراء تصحيحها (مع أن عدداً لا بأس به من المعلمين لم تصحح رواتبهم) ، بل نسب هذه الزيادات الدورية على الأقساط ، حيث ضربت هذا العام رقماً قياسياً زاد ١٤,٧ عن مؤشر تصحيح الأجور الأخير ، مع أن الزيادة على الأقساط , يجب ألا تتعدى نصف النسبة المقرة لتصحيح الأجور ، كون الأقساط التي تستوفيها المدارس ، تساوي ثلاثة اضعاف مجموع رواتب المعلمين ، وبالتالي فإن الزيادات على الأقساط التي تتقاضاها المدارس ، تساوي ثلاثة أضعاف ما يتوجب عليها دفعه للمعلمين بدل تصحيح رواتبهم ، ومع اخذنا بعين الاعتبار زيادة كلفة رواتب الاداريين والمستخدمين والنفقات العامة من كهرباء وماء وتلفون وغيرها ، فأن الزيادات المتوجبة على المدارس ، لا تتعدى نصف قيمة الزيادات المستوفاة من الأهل .

بمعنى آخر أن زيادة ٢٠٪ على الاجر ترتب على المدرسة زيادة الأقساط ١٠٪ . بينما الذي حصل هذا العام عكس ذلك ، فقد جرى تصحيح للأجر في شطره الأول بنسبة ٤٠٪ ، وبدل أن تكون نسبة ارتفاع الأقساط ٢٠٪ وفقاً للقاعدة ، اقدم اصحاب المدارس على زيادة اقساط بعض أقسام التعليم بنسبة ٧٠,٤٪

(راجع جدول رقم ـ ١ ـ) وفي ذلك جشعاً غير مشروع ، وتحميل أولياء التلاميذ اعباء مالية لا قدرة لهم على تحملها ، مما يدفع بالعديد من هذه الاسر إلى عدم تسجيل ابنائها في المدارس .

مجلس الأهل : « شاهد ماشفيش حاجة » أو البصم للادارة

اما مجلس الاهل وما يقال عن صلاحياته في مجال تحديد نسب هذه الزيادة على الاقساط ، فإن دوره لا يعدو أكثر من شاهد زور على كل ما يجري ، لا حول له ولا قوة ، هذا إذا كان موجوداً في بعض المدارس . فاولياء التلاميذ بمعظمهم الذين يصارعون ضنك الحياة ، ويمرمون انفسهم في أشياء واشياء ، من أجل تعليم اولادهم ، يكون همهم ارضاء الادارة ، لا لشيء الا لأجل ان تهتم بأبنائهم ، اضافة الى عدم التقاء الاهل الموزعين على فئات اجتماعية مختلفة والمنتشرين في احياء متباعدة ، الا في المناسبات التي تدعو لها الادارة ، والتي غالباً ما يحضرها العدد القليل منهم ، وقد روى لنا احد مدراء المدارس التي قصدناها قصة انتخاب مجلس الاهل المكون من ١٧ عضو على الشكل التالي : وجهنا عشرات الدعوات للجلسة الاولى فلم يأتي الا ربع الاهل ، فرفعت الجلسة لعدم اكتمال النصاب ، وبعدها وجهنا دعوة ثانية فلم يحضر الا ٢١ من اولياء الطلبة ، ولما كانت الجلسة الثانية وفقاً للوائح تشكيل مجلس الاهل تعقد بمن حضر ، رشحنا ١٧ عضواً بلائحة واحدة ففازت بالتزكية . ويضيف المدير ، دون ان يوضح ، ان قانون حرية التعليم الخاص لا بد ان تراعيه كل المراسيم التي تصدرها وزارة التربية ، وتبقى طرق التلاعب على هذه المراسيم متعددة بالنسبة للادارة .

١٧٧,٢٪ نسبة ارتفاع سعر كتاب المركز التربوي

تبقى مشكلة اخرى من مشكلات اكلاف التعليم تتمثل بالكتاب المدرسي ، فاضافة إلى تنوع الكتاب المعتمد للتدريس لنفس الصف بين مدرسة واخرى ، وذلك حسب عروض الحسم التي تقدمها دور النشر لاصحاب المدارس ... يجري استبدال الكتاب بشكل دوري كل سنة ، سعياً وراء الربح من قبل ادارة المدرسة ودور النشر ، ويجري أيضاً احتكار الكتاب من قبل بعض المكتبات ، خاصة الكتاب المستورد ، حيث يجري فرض أسعار احتكارية على بيعه[٣] وجديد هذا العام هو الارتفاع الحاد في سعر الكتاب المدرسي العائد للمركز التربوي حيث ارتفعت اسعار كتب الصف الأول ابتدائي بنسبة ١٧٧,٢٪ عن السنة الماضية ، (راجع جدول رقم ـ ٧ ـ). وقد بلغت أسعار كتب الأول متوسط في احدى المدارس الخاصة نسبة ٣٩,٦٪ من القسط الدراسي لنفس الصف[٤] ، وهكذا يشكل بيع الكتاب المدرسي من قبل الادارة ، وسيلة اتجار اخرى ، ومجالا لتحقيق الأرباح الطائلة ، عدا عن مسألة المراويل والدفاتر الخاصة بالمدرسة وبعض القرطاسية ، التي سجلت بدورها (أي القرطاسية) ارتفاعات في أسعارها وصلت إلى ٣٠٥,٣٪ عن سعرها العام الماضي (راجع جدول رقم ـ ٤) .

ان استمرار الوضع على هذه الشاكلة ، عاماً بعد عام ، في ظل غياب سياسة تربوية وطنية هادفة ، يقوم عمادها على اساس تعزيز وتطوير التعليم الرسمي على حساب التعليم الخاص ، واجراء تغيير جذري في الهيكلية التنظيمية المتخلفة لوزارة التربية ، وعلى اساس توحيد الكتاب المدرسي ، وتعريب المناهج التعليمية وتطويرها ، وتطبيق مبدأ الزامية التعليم على الاقل في مرحلتي الابتدائي والمتوسط ، واعداد دورات تأهيلية للمعلمين ،وتفعيل كلية التربية ، وزيادة مجالات التعليم المهني ، وبناء المدارس الحديثة والمجهزة ، واعادة تأهيل وتجهيز المدارس المستأجرة ، ووقف الهدر الحاصل في مجال التعليم الخاص المجاني ، وتفعيل التفتيش التربوي وغيرها ... ان الاستمرار في ادارة الظهر لهذه المشكلات وعدم حلها من قبل الدولة ، لن يفضي الا الى الانهيار التام للتعليم الرسمي .

جدول رقم : (٦) عينية عن معدل زيادة الاقساط المدرسية في المعمدانية (ارسالية) .

الصف	العام الدراسي ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ ل.ل	العام الدراسي ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ ل.ل.	نسبة الزيادة ٪
الروضة	٣٩٠٠	٥٦٠٠	٤٣,٥
اول ابتدائي	٤٢٠٠	٦١٠٠	٤٥,٢
خامس ابتدائي	٤٨٠٠	٦٩٠٠	٤٣,٧
اول متوسط	٥٠٠٠	٧٥٠٠	٥٠
رابع متوسط	٦٥٠٠	٩٣٠٠	٤٣
اول ثانوي	٧٠٠٠	١٠٣٠٠	٤٧,١
ثالث ثانوي	٩٠٠٠	١٢٣٠٠	٣٦,٦

جدول رقم : (١) عينة عن معدل زيادة الاقساط المدرسية في الليسه ناسيونال

الصف	العام الدراسي ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦	العام الدراسي ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧	نسبة الزيادة ٪
الروضة	٦٥٢٥	١١١٢٥	٧٠,٤
اول ابتدائي	٦٦٢٥	١١٢٨٠	٧٠,٢
خامس ابتدائي	٦٩٥٠	١١٧٨٠	٦٩,٤
رابع متوسط	٨٣٧٠	١٣٩٧٠	٦٦,٩

جدول رقم : (٤) معدل زيادة اسعار بعض القرطاسية

النوع	العام الدراسي ٨٥ ـ ١٩٨٦	العام الدراسي ٨٦ ـ ١٩٨٧	نسبة الزيادة ٪
قلم حبر (Bic)	٠,٧٥	٣,٥٠	٣٦٦,٦
قلم غاز	٣,٠٠	١٥,٠٠	٤٠٠
دفتر صغير (٥٠ ورقة)	٣,٠٠	١٠,٠٠	٢٣٣,٣
مقلمة فارغة	١٥	٥٠	٢٣٣,٣
شنطة لصف ابتدائي	١٥٠	٦٠٠	٣٠٠
مطرة ماء	٢٥	١٠٠	٣٠٠

المدرسة الرسمية ما فيها تعليم وبكرا بيتخرجوا ولادي « زعران

ولعكس رأي اولياء التلاميذ حول مشكلات تعليم ابنائهم هذا العام ، التقينا بالسيد ابو علي برّاج ، أب لـ ١٣ ولداً ، مهنته وكيل على عمال بلدية بيروت ، حيث بادرنا بالقول بعد ان عرف قصدنا : « اليوم ١٩٨٦/٩/١٧ ولم نقبض معاشنا ، وقد اعلنا الاضراب المفتوح من اجل دفع اجورنا واعطائنا بدلات الآحاد والفروقات ، كيف بدك سجل اولادي في المدرسة وقسط ولدين منهم للصف الثالث والخامس ٥٩٠٠ ل.ل. بدون ثمن الكتب وان معاشي ٥٢٠٠ ل.ل. واين « الديمقراطية » في هالبلد ، كنت ادفع على ولدي في العلمية الحديثة ٥ ل.ل. ومدير المدرسة كان فقير وكان يتحسس مع الناس ، اما الآن فلا تستطيع ان تكلمه .

المسؤول عن هذا الوضع الزعامات التي تملك ارصدة في البنوك ، فهؤلاء ان حصل شيء في البلد بيسافروا ، وفيهن يعيشوا على سطح القمر ، اما نحن فاذا كنا نريد الذهاب الى الجنوب لا نستطيع . واذا كنت اريد ان اعلم اولادي في المدرسة الرسمية ، بيتخرجوا بكرا « زعران » ما فيها مستوى تعليمي » .

وبعد ان تركنا ابو علي التقينا بالطالبة ايمان غنام التي تتعلم في مهنية الحسين بن علي ، فبادرت بالقول : ان قسط المدرسة هذا العام زاد بنسبة ٤٠٪ ، حيث كان العام الماضي ٧٥٠٠ ل.ل. اما هذه السنة فقد وصل الى ١٠,٥٠٠ ل.ل. وزاد رسم التسجيل من ٥٠٠ الى ١٥٠٠ ل.ل اي بنسبة ٢٠٠٪ . واضافت ان الغلاء ليس على الاقساط فقط بل طال كل المواد التي نستعملها في الدراسة . والدولة تتحمل المسؤولية في ذلك ، وعليها تأمين التعليم المجاني لانه حق لكل مواطن وهذا ابسط حق اما الحل فبرأيي بمراقبة الاسعار ، وبانشاء مدارس رسمية تستوعب عدد اكبر من الطلاب ووضع حد للغلاء القاتل .

ممنوع ان اشتري الكتب من خارج المدرسة وكذلك الدفاتر

بعدها التقينا بالسيدة ام صالح ، ام لثلاثة اطفال ، طفلين منهم في المدرسة ، وبعد ان طرحنا عليها السؤال عن تكاليف الاقساط والكتب لهذا العام قالت : السنة الماضية سجلت الاولاد بـ ٤٠٠ ليرة ، هذه السنة ٥٠٠ ل.ل. وبعد اسبوع منعرف قيمة القسط والكتب ، السنة الماضية كنت ادفع لكل قسط ١٩٠٠ ل.ل. على الولدين ، يعني دفعت ثلاثة اقساط ٥٧٠٠ ل.ل. وممنوع ان اشتري الكتب من خارج المدرسة وكذلك الدفاتر .

□ **كيف يمكن مواجهة هذه المشكلة ؟**

السيدة ام صالح : كنت متمسكة بوضع اولادي في مدرسة خاصة . وعندما زاد الغلاء فكرت بوضعهم في مدرسة رسمية ، وبنفس الوقت اتفق مع معلمة خاصة تعلمهم في البيت لقاء مبلغ من المال ، ولكن في المدرسة الرسمية لا توجد مسؤولية تجاه تربية الاطفال ، عدا الاوساخ ، اضافة لتعذر وجود طبيب يشرف على الاطفال ، وامام هذا فضلت ان ابقيهم في مدرستهم ، لان هناك عناية .

ـ واضافت ام صالح : تمر علينا ايام لا نستطيع جلب الاكل لاطفالنا . المسؤول عن هذا الغلاء الفاحش كل من يبيع الكتب . كل من يتاجر بالمواد الغذائية هو المسؤول ، من المسؤول ؟ رئيس الجمهورية هو الذي يتحكم بالدولار .

وامام هذا الواقع هل نضيف جديداً ، اذا ما اعدنا التأكيد على خطورة استمرار وضع التعليم في لبنان على ما هو عليه راهناً ، ما لم تقدم وزارة التربية على اعتماد سياسة تربوية وطنية هادفة يقوم عمادها على اساس تعزيز التعليم الرسمي وتطويره على حساب التعليم الخاص ، من اجل صهر شبيبتنا في بوتقة وطنية تساهم في اعادة توحيد البلاد وفق اسس وطنية !!

جدول رقم : (٧) عينة عن نسبة ارتفاع سعر الكتاب المدرسي العائد للمركز التربوي .

الصف	العام الدراسي ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ ل.ل.	العام الدراسي ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ ل.ل.	نسبة الزيادة ٪
اول ابتدائي	٩٧,١٥	٢٦٩,٥	١٧٧,٢
اول متوسط	٢٣٤,٤	٤٣٧,٥	٨٦,٦

(١) مجلة التحرر العمالي . تشرين الثاني ١٩٨٥ . عدد رقم (٣٢) . ص (٢٢) .
(٢) راجع جدول رقم (١) .
(٣) راجع جدول رقم (٢) .
(٤) راجع جدول رقم (٥) .

يوميات المقاومة الوطنية اللبنانية :

اقتحام مواقع العدو وعملاءه

قتلى وجرحى وغنم اسلحة ومعدات

التاريخ	مكان العملية	هجوم على موقع	مهاجمة دورية	عبوة ناسفة	قصف صاروخي	الخسائر
٢٥ آب	ـ السريرة	ـ				
٢٦ آب	ـ تلال الاحمدية				ـ	
	ـ ياطر				ـ	
	ـ العيشية				ـ	
	ـ تومات نيحا	ـ				تدمير آلية
	ـ مركبا		ـ			اعطاب آليتين واصابة من فيهما .
٢٧ آب	ـ يحمر ـ الشقيف		ـ			
٢٨ آب	ـ ابل السقي		ـ			
	ـ تلة ياطر				ـ	
	ـ مثلث الرجمين				ـ	
	ـ بركة ريشاة				ـ	
	ـ جبل صافي	ـ				ـ تدمير موقع رشاش واعطاب آلية.
	ـ تومات نحيا	ـ				
٢٩ آب	ـ تلة ياطر				ـ	
٣٠ آب	ـ دير ميماس		ـ			ـ اعطاب آلية واصابة جنديين صهاينة.
	ـ جبل الغزلان				ـ	ـ اصابة عنصريين تدمير آلية
	ـ جسر الخردلي		ـ			ـ اعطاب آلية
	ـ جسر بسري				ـ	
	ـ تلة الشومرية	ـ			ـ	
٣١ آب	ـ عرمتى	ـ				
١ أيلول	ـ ياطر	ـ				
	ـ تلة الحقبان	ـ				
	ـ كفركلا			ـ		ـ اعطاب نصف مجنزرة.
	ـ جبل باسيل				ـ	
	ـ تلة الحمرا			ـ		
	ـ جبل الغزلان				ـ	
	ـ بني حيان			ـ		ـ احتراق آلية.
٢ أيلول	ـ الجبين			ـ		ـ اعطاب آلية وجرح ثلاثة جنود
	ـ يارون		ـ			

التاريخ	مكان العملية	هجوم على موقع	مهاجمة دورية	عبوة ناسفة	قصف صاروخي	الخسائر
	ـ كفر تبنيت	-				
	ـ البياضة				-	
	ـ تلة الطهرة	-				
	ـ ثكنة مرجعيون				-	
٣ أيلول	ـ ياطر	-				
	ـ برعشيت	-				
	ـ مزرعة شمع			-		
	ـ الريحان			-		
٤ أيلول	ـ تلة الطاهر	-			-	
	ـ بيت ليف					
	ـ رامية	-				
	ـ قلعة ارنون				-	
	ـ لوسي				-	اعطاب آلية.
٥ أيلول	ـ بيت ياحون	-				قتل جندي وجرح ثلاثة آخرين.
	ـ شقيق النمل				-	
	ـ عيتا الشعب	-				
	ـ تلال حداثا	-				
	ـ العيشية				-	
	ـ الريحان				-	
	ـ ثكنة مرجعيون				-	
٦ أيلول	ـ القليعة	-				
	ـ اذاعة «الامل»	-				
٧ أيلول	ـ تلة الحقبان				-	
	ـ تلة السويداء				-	
٨ أيلول	ـ يارين	-				تدمير آلية وسيارة جيب.
	ـ رأس البياضة				-	
	ـ دير سريان			-		
	ـ مركبا		-			تدمير ملالة . واصابة من فيها.
١٠ أيلول	ـ عين ابل				-	
	ـ بنت جبيل				-	
	ـ بلدة رميش				-	
	ـ شقيف النمل				-	
	ـ جبل باسيل				-	
	ـ تلال ياطر				-	
١١ أيلول	ـ تلة ياطر	-				قنبلتين واربعة جرحى والاستيلاء على آلية
	ـ عين ابل			-		
	ـ تلة السريرة	-				
	ـ عيترون	-				
١٢ أيلول	ـ كفرحونه		-			اعطاب آلية
	ـ تلة الحقبان			-		
	ـ عين ابل			-		

كرمس « تعالوا نفرح .. » في صيدا :

حضور كبير مع الفرح والهدايا

يوم ترفيهي فتح نافذة على السعادة

وصلنا منطقة الأولي في صيدا ، عند الجسر تضج الموسيقى سماء المنطقة ، كانت تظهر لنا مجموعة من الخيمات البيض ، قابعة تحت ظلال حرج الكنايات ، واوراق الزينة ترقص ، على اغصان وجذوع الشجرات الضخمة .

قصدنا المكان ، عند المدخل قرأنا على يافطة كبيرة « جبهة الطلاب الديمقراطيين ، مخيم الشباب الاول ـ صيدا ، دورة الشهيد الدكتور مصطفى الرشيدي التدريبية ، من ٨٦/٨/٢٧ الى ٨٦/٩/٧ » .

مراجيح ورسم للاطفال

رحنا نجول في جنبات المخيم ، تطالع هنا وهناك ملصقات عليها : « كرمس تعالوا نفرح » .

اولى الزوايا كانت خيمة المبيعات ، تشمل اشغالاً مختلفة من القماش وزجاجات مزينة برسوم زيتية وادوات نحاسية وخزفية متنوعة ، تشرف عليها بعض النساء من « رابطة العمل النسوي الديمقراطي » .

زاوية اخرى ، نصبت فيها المراجيح ، زرافات من الاطفال يتدافعون ، ليأخذوا دورهم في المرجوحة ، وآخرون يتمرجحون وهم يرددون : يا ولاد ابو شرشوبة .. يويوه . يويوه .

لفتتنا احدى الخيمات ، تحمل تعريف « رسوم الاطفال » ، امامها حشد من الاهالي واطفالهم ، تسللنا الى داخلها ، فاذا مجموعة من الاطفال يرسمون بالالوان على اوراق بيضاء ، مفترشين الارض كما يحلو لهم ، ترى بعضهم يمرجح رجليه، وآخر يدندن، وآخرون يسترقون النظر الى رسومات رفاقهم ، تنتهي مجموعة وتبدأ اخرى ، وتوزع الهدايا على المشتركين ، ويبدو الفرح على وجوه الجميع كباراً وصغاراً .

زاوية اخرى ، يتناوب عليها الاباء واطفالهم، ينتظرون ادوارهم، للرماية بالبندقية « الخردقة » ، على اهداف صغيرة ، وعلامات الفوز والخيبة تقرأها في عيونهم .

« بولينغ العلب الفارغة » يقذف المشاركون طابات صغيرة ، بغية رمي العلب ارضاً والفوز بهدية .

والعاب اخرى تجمهر حولها الزوار ، « حلاقة البالون » ، « والصيد بالصنارة » ، فيما تعلو اصوات الاطفال الذين يتناوبون على الغناء امام الميكروفون ، للفوز بالهدايا .

فرصة ممتازة للترفيه

ونحن نتجول بين زوايا «كرمس تعالوا نفرح » سجلنا بعض انطباعات الحضور ، فاعتبره ابراهيم انصاري الذي يصطحب اولاده الثلاثة ، فرصة ممتازة للترفيه عن اطفاله ، لان هكذا حفلات ، تشكل في نفس الاطفال انفراجاً مريحاً ومفرحاً .

الطفل وسيم حبلي ، كان فرحاً بما يراه ، وهو يتنقل على عكازيه ، ليشاهد الألعاب ، وقال وهو يحمل هدية ، هذه اول مرة احضر هكذا « كرمس » ، وانا سعيد بذلك .

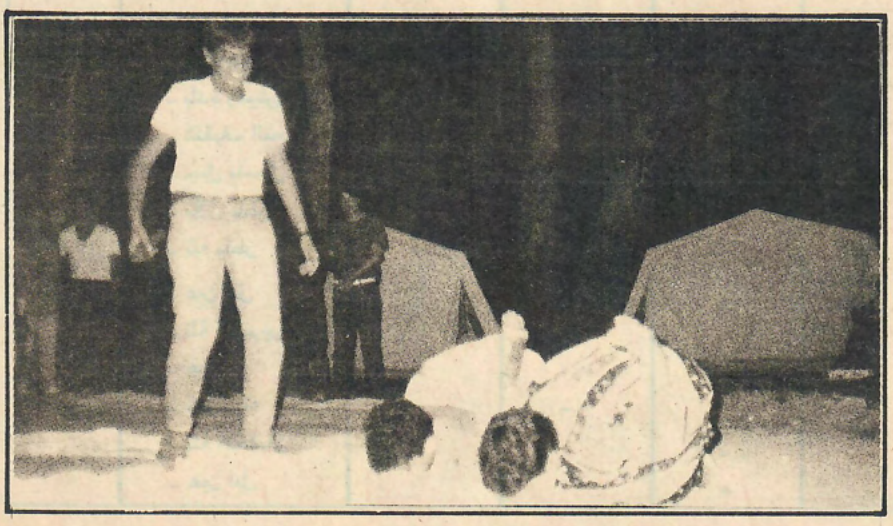

« اطفالي لا يريدون مغادرة الكرمس ، لعبوا كثيراً » قالها السيد حميد خليل وهو يضحك من موقف اولاده .

والطفل محمد رمضان (ست سنوات) باعتقاده يرسم جيداً وهو يحب الرسم ويرغب بالمشاركة طيلة اليوم .

وطفل السيدة آمال فرحات فرح كثيراً بالمرجوحة ، فهو منذ زمن لم يخرج من البيت كما اخبرتنا .

تعويض عن المعاناة والحجز

واقترح السيد محمد موعد برفقته اولاده الاربعة ، ان يشمل الكرمس العاباً لكافة الاطفال ، من سن الرابعة وحتى الثانية عشر ، وعبر عن سروره ، بالهدايا التي اعطيت لاطفاله ، والتسلية التي امضوها ، لانهم عوضوا ما يعانوه من احتجازهم في المنزل .

« يجب ان يكون الكرمس لجيلين ، للكبار والصغار ، والكل يفتقد الترفيه » هذا ما اقترحه السيد محمود نقوزي وزوجته هلا حلاوي ، وكانا مهتمان بمتابعة اولادهما الأربعة .

وقد حضرت السيدة دنيا الخطيب مع طفلتها نادين ، لأنها احسست بهذا اليوم انه نوعي ، يعوض عن الاجواء المرهقة حولها .

انه شيء رائع للغاية بنظر السيدة قطب ، وتصطحب طفليها اللذان يريدان الخروج الى اي مكان للترفيه ، واحياناً تقصد بيروت مع ولديها ، للترفيه عنهما ، وتمنت لو ان « الكرمس » اوسع ومتنوع اكثر .

اول مرة تحضر « كرمس » ، المقعدة منى اللهيب (١٢ سنة) ، تحب الحفلات وقد شاركت بالرسم وحصلت على هدية ، وتتمنى لو تستطيع المشاركة بكل الالعاب ، ووجهت شكرها لمنظمي الاحتفال وتطلب اليهم تكرار هذا النشاط المفيد .

تركنا المحتفلين في لهوهم وفرحهم ، وعدنا ادراجنا ، نسجل مشاهداتنا حاملين تقديراً كبيراً ، للجهود المبذولة ، من اجل اسعاد المرهقين من الحرب ومن مصاعب المعيشة ، اتي اثقلت كواهل الجميع ، وكلنا امل بغد افضل على ايدي الشبيبة صانعة المستقبل والفرح .

« بعثة الثوري »

يحدث في مصر مبارك الان

□ ذكرت شرطة القاهرة انها القت القبض على خمسة اشخاص كانوا قد اطلقوا النار واصابوا عاملاً في منزل السفير الاميركي في القاهرة . ولتمويه الحادث ، ادعت مصادر الشرطة ان الرجال الخمسة كانوا يطلقون النار في الهواء ابتهاجاً بنقل جهاز عروسين . والغريب في رواية الشرطة هو عدم اعتياد سكان القاهرة على اطلاق النار بالمناسبات ، خاصة في الاحياء الراقية حيث يقطن سعادة السفير .

□ ذكرت صحيفة « الاخبار » المصرية ان اربعة اشخاص اصيبوا بالتسمم اثر تناولهم خموراً مغشوشة ، وقد امكن انقاذ ثلاثة منهم بعد نقلهم الى مركز علاج السموم ، اما الرابع ففقد بصره . والجدير ذكره ان حوادث مماثلة قد حصلت في مصر في الآونة الاخيرة ذهب ضحيتها عشرات المواطنين .

□ اوردت صحيفة « الخليج » خبراً مفاده ، انه تم نقل عدد من الضباط المصريين العاملين في سيناء من مختلف الرتب استجابة لطلب كيان الاغتصاب الصهيوني بنقلهم بسبب مضايقتهم للسياح والزوار الصهاينة .

□ التقى رئيس الوزراء المصري علي لطفي نظيره الفرنسي جاك شيراك في باريس وشملت المحادثات بينهما التعاون الاقتصادي والوضع في منطقة « الشرق الاوسط » . وبعد انتهاء المحادثات قال شيراك للصحافيين ، على الرغم من الصعوبات الاقتصادية التي تواجهها مصر لا يزال ممكناً تصور زيادة في التبادل التجاري بيننا » . وتسعى مصر حالياً للحصول على قرض من صندوق النقد الدولي لمواجهة الصعوبة في خدمة اعباء ديونها الخارجية والتي تقدر بنحو ٣٦ مليار دولار .

□ وجهت السفارة الاميركية في القاهرة الى الرعايا الاميركيين تحذيراً جاء فيه : « يوجه جهاز الامن بالسفارة الاميركية التحذير التالي : تلقت البعثة الاميركية في القاهرة معلومات جديرة بالثقة تفيد بان مجموعة متطرفة ربما تحاول التعرض لاحد او عدة مسؤولين اميركيين خلال الايام المقبلة . وعلى اية حال فانه يتعين على كافة الاميركيين التحلي باليقظة ضد اي خطر محتمل واتخاذ ما يلزم من التدابير الامنية الشخصية المناسبة » .

□ قامت اجهزة الامن المصرية في اواخر ايلول بحملة اعتقالات واسعة في صفوف قيادات المعارضة اليسارية . وقد شملت الحملة ٢٧٨ شخصاً من قياديي حزب التجمع وحزب العمل الاشتراكي . ووجهت اجهزة الامن الى المعتقلين تهماً منها اثارة الجماهير وتحريضها على ازدراء النظام والدعوة الى العصيان المدني والدعوة الى الاضراب في المرافق العامة والاعلان عن تشكيل خلايا غير شرعية هدفها قلب نظام الحكم . ■

السودان :

المهدي : نميري بوجه متجدد .

حكومة المهدي ... والمعركة المقبلة

تساؤلات كثيرة تطرح امام الناظر الى ما تشهده الساحة السودانية من تطورات متسارعة ، اخذت في الاسابيع الاخيرة حداً بالغ الخطورة ، مع اقدام الحكومة ورئيسها بصفة خاصة على فتح باب المواجهة المباشرة مع قوات جيش تحرير الشعب السوداني . في محاولة للالتفاف على المطالب المحقة التي يرفعها ، وجعل قضية « الجنوب » والاستعدادات للتعبئة والقتال فيها القضية الاساسية متناسين الانهيار الاقتصادي وحال المجاعة التي تطرق ابواب اغلبية افراد الشعب ، وتضغط عليهم الى حد الموت جوعاً .

المهدي : نميري بقناع جديد

لقد بدا واضحاً منذ فترة ، ان مجيء المهدي على رأس الحكومة بعد الانتخابات التشريعية التي جرت في ايار الماضي ، لم يحمل اية تغيرات مهمة في بنية النظام . وان حكومته العتيدة لا تملك برنامجاً يحمل حلولاً للتركة الاقتصادية - السياسية التي اورثها النميري للبلاد .

فبرنامج حكومة المهدي لا يختلف عن البرنامج الذي رفعته حكومة النميري اثناء فترة ولاية المذكور الثالثة . اضف الى ذلك ان ٧٠٪ من اعضاء البرلمان الحالي والذين انتخبوا مؤخرا ، كانوا يشاركون في النظام السابق بمسؤوليات مختلفة ، واكثرهم بقي في منصبه وفي عضويته للبرلمان .

ورغم ان الفترة التي مضت على تسلم حكومة المهدي للسلطة قصيرة نسبياً ، الا ان كافة المؤشرات وتحركات رئيسها وزياراته الى الخارج لم تنجح في تغيير الصورة المرسومة اصلاً للصادق المهدي حول علاقاته الوثيقة بالانظمة الرجعية العربية وابقاء السياسة السودانية اسيرة لمخططات وتوجهات هذه الدول . وابرز دليل على ذلك ابقائه على العلاقات مع النظامين المصري والسعودي والتأكيد في اكثر من مناسبة على عدم المساس بها .

الجنوب قضية كل السودان

بمواجهة حملة التصعيد الحكومية هذه شدد جون غارانغ قائد جيش تحرير شعب السودان على تمسكه بمطالبه المتمثلة بالغاء قوانين الشريعة الاسلامية التي اقرت في اواخر عهد النميري والتي تزرع بذور التفرقة والعنصرية بين ابناء الشعب الواحد . فالقوانين المذكورة لا تسمح لغير المسلمين بتسلم اي منصب قيادي . وفي عدم المساواة هذه سعي لفرض نظام يخلق سيادة لعرق او دين معين . وهذا لا يمثل الا مصلحة القوى الامبريالية والرجعية التي تهدف من وراء ذلك ابقاء الشعب السوداني اسير التناحرات الطائفية . وهناك ايضا المؤتمر الدستوري وضرورة عقده ليضع دستوراً جديداً للبلاد يمثل طموحات جميع افراد الشعب والغاء حالة الطوارىء .

وكان رد الحكومة على هذه المطالب تمييع قضية الغاء قوانين الشريعة ، حيث اقدم المهدي على الغاء بعضها واستبدالها ببعض النصوص التي اعادت من جديد التأكيد على التعددية العرقية والثقافية . وهذا من شأنه ان يصعد الموقف . ومن جهة اخرى توالت تصريحات اعضاء الحكومة ورئيسها في شحن افراد الشعب للقتال .

القوى الثورية مطالبة بالاستعداد

يبدو واضحاً مما تقدم ان حركة نيسان ١٩٨٥ بقدر ما حققت جزءاً من طموحات الشعب في ابعاد النميري عن السلطة ، فانها بقيت تراوح مكانها ، مما مكن القوى الرجعية فيما بعد وخاصة اثناء المرحلة الانتقالية من تثبيت اوضاعها والعودة بقناع يخفي رجعيتها مستفيدة من ضعف القوى الثورية وتقاعس القوى الاصلاحية عن مواجهتها .

من هنا فان المعركة التي تحشد لها حكومة المهدي الرأي العام والقوى ضد جيش تحرير الشعب السوداني ، بينما تتغاضى عن تحقيق مطالب قسم كبير من افراد الشعب الذي يطالب بابقاء السودان واحداً موحداً .

ان هذه المعركة خاسرة سلفاً ، ولا تخرج عن نهج نميري الرجعي الذي قاد البلاد الى الدمار وهي ، بنفس الوقت تقدم للقوى الثورية الفرصة المناسبة لاعادة تجميع قواها والاستعداد للمرحلة المقبلة .

طارق يونس

بعد اسبوعين على تهديد العميل علي ناصر :

هل بدأ العدوان الرجعي ضد اليمن الديمقراطي ؟

تحدثت مصادر ديبلوماسية عربية في النصف الثاني من ايلول عن عبور قوات من اليمن الشمالي الحدود مع اليمن الديمقراطي وحصول اشتباكات ، بقيت محصورة في نطاق محدود ولم تتطور ، واثر الاشتباك جرى اتصال بين الرئيسين اليمنيين ، وحملت مصادر عدنية سلطات صنعاء مسؤولية الحادث واية حوادث مشابهة في المستقبل .

ويتسم اشتباك الحدود ، وهو الاول من نوعه منذ مؤامرة علي ناصر الفاشلة ، بخطورة شديدة لانه يدلل على نضج مخططات العدوان التي اعدتها الامبريالية والرجعية العربية . وبدأت تنفيذها الآن ضد امن واستقرار اليمن الديمقراطي في محاولة لاحباط تصميم القيادة الجماعية على استعادة دور اليمن التقدمي ، وطموحها باعادة بناء البلاد بعد الخراب الهائل الذي خلفته وراءها زمرة علي ناصر المرتدة الهاربة .

ويحتل المطرود علي ناصر موقعاً متقدماً في مخطط الاستفزاز والعدوان ضد الثورة في اليمن الديمقراطي ، ويحظى انصاره ومرتزقته الذين تم تجميعهم في معسكرات على الحدود بين اليمنين بدعم مالي وتسليحي كبير من قبل رجعيات الخليج ، وعلى رأسها السعودية التي لم تعترف بالنظام الحاكم في عدن لغاية اليوم ، ومن قبل الولايات المتحدة الاميركية التي لعب ممثلها الى المنطقة روبرت مورفي دوراً تنسيقياً ملحوظاً في تكتيل القوى الرجعية المتضررة من انتصار الثورة اليمنية واستمرارها في تثبيت مواقعها وعدم رضوخا للضغوط التي مورست ضدها .

ويأتي استفزاز الحدود بعد مرور اسبوعين على التهديد الذي اطلقه العميل علي ناصر ، الذي قال بأنه « سيضطر لمواصلة النضال بمختلف اشكاله واساليبه اذا لم تستأنف عدن الحوار وتستجيب للحل « السلمي الديمقراطي » . وهذا « الحل » المطروح من قبل المرتدين والقوى الرجعية التي تدعمهم يعني العفو عن علي ناصر وجماعته ونسيان جرائمهم التي ارتكبوها ، وصولاً لتمييع النصر الحاسم الذي حققه خط استمرار الثورة والحزب في كانون الثاني الماضي .

بيد ان رفض القيادة الجماعية في عدن للمساومات الرخيصة وعدم استجابتها للوساطات التي قام بها اكثر من طرف عربي واجنبي لاجراء « مصالحة » مع المرتد علي ناصر ، وما ترافق مع تلك الوساطات من ضغوط سياسية واقتصادية وعسكرية ... وثباتها على موقفها المبدئي من علي ناصر ونهجه وممارساته ، واصرارها على محاكمته مع اربعة واربعين من انصاره بتهمة الخيانة ، قد سد الطريق امام عودة فلول المشبوهين والموتورين، وافشل محاولاتهم لاختراق صمود موقف عدن واسقاطه من الداخل .

وهكذا، عندما يبدأ علي ناصر شن عمليات الثورة المضادة ، انطلاقاً من احضان الرجعية اليمنية في الشمال ، فانه يكشف عن عمالته ، حتى امام القلائل من الوطنيين الذين ما زالوا يأخذون بادعاءاته ، ويفضح دوره القذر كرأس حربة في مخطط امبريالي ـ رجعي يستهدف فتح جبهات قتال على حدود اليمن الديمقراطي لاستنزاف الثورة هناك تمهيداً لاسقاطها .

لكن القيادة الجماعية التي لم تذعن لضغوط « المصالحة والمساومة » ، لن تستسلم امام الاستفزازات العسكرية التي بدأها رجعيو الشمال بغطاء جنوبي عميل . ولعل تحميل عدن حكومة صنعاء مباشرة مسؤولية الحادث الاخير ، دون اي ذكر للعميل علي ناصر ... لعل في ذلك اشارة واضحة على استعداد عدن للتعامل مع مصادر العدوان ومدبريه بالقوة والحزم الضروريين ، دون اهمال الادوات المنفذة ، وانها لن تتساهل في نشوء حالة استنزاف على حدودها تلهيها عن استكمال عملية البناء الداخلي ، واستئصال جذور الارتداد والانحراف التي بذرها علي ناصر وجماعته اثناء فترة حكمهم البائد ■

السلاح الاعلامي في الميدان

تزايد النشاط الاعلامي وتطور وسائله وتشعب فروعه والمبالغ الطائلة التي تصرف في مجالاته ، يطرح سؤالاً عن الدور الذي يلعبه الاعلام في ميدان الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية ، بين التقدمية والرجعية ، بين الوطنية والعمالة ... وعن اهمية هذا السلاح الذي تسعى الطبقات الرجعية بكل قواها لامتلاكه والسيطرة عليه ، وبالتالي حرمان الطبقات المقهورة من استخدامه ، رغم ما تملكه القوى الامبريالية وادواتها من سلاح فتاك مدمر ؟

لا شك في ان الاعلام سلاح هام في ميدان الصراع ، والا لما اضطرت الحكومات الرجعية لانفاق المليارات للسيطرة عليه وامتلاك ناصيته ، وسن القوانين والشرائع والاعراف التي تحرم بموجبها الطبقات الكادحة وقواها الوطنية والتقدمية من امتلاكه واستخدامه .

السيطرة على عقول الناس

اذا كانت الحروب العسكرية التي تشنها الامبريالية تستهدف السيطرة على البلاد ، واحكام قبضتها على جماهيرها ومقدراتها الاقتصادية ، وتحويلها الى سوق لبضائعها ومنتوجاتها ... فان الحرب الايديولوجية تستهدف السيطرة على عقول الناس وتوجهاتهم الروحية . على ذهنية المواطنين .

ولتحقيق هذا الغرض ، لا تتورع الامبريالية عن استخدام اكثر الاساليب خسة وانحطاطاً ، ساعية بكل طاقاتها لامتلاك وسائل الانتاج الروحي : الكتب والجرائد والمجلات ومحطات الاذاعة وستوديوهات التلفزيون والشركات السينمائية ، وذلك بغية فرض افكارها وايديولوجيتها ، انطلاقاً من كون افكار الطبقة السائدة هي في كل عصر الافكار السائدة .

ان الامبريالية تلجأ في دعايتها للكذب والدجل وبث الاشاعات والافتراءات ، ونشر السيناريوهات الملفقة ، وتعمل على حجب الحقيقة ومنعها من بلوغ الاسماع واغراقها في سيل من الصراخ والسباب المغلف بالصخب والضجيج ، المستند لاكثر اساليب الكذب للحيلولة دون ظهور ايضاح نزيه للحقائق .

وفي حين تلجأ الدعاية الامبريالية لتلك الاساليب ، تعتمد الدعاية الاشتراكية على الوضوح وقول الحقيقة ، لان للطبقة العاملة اكثر مما لأي طبقة اخرى مصلحة في ايصال الحقيقة التاريخية الى الجماهير وفي الانعكاس الدقيق والصادق لواقع الحياة الاشتراكية .

وبينما يعتبر العلماء البرجوازيون الدعاية اداة فعالة للتلاعب بالوعي الجماهيري ... فان الايديولوجيين الاشتراكيين يسعون لتوفير وتطوير وسائل الانتاج الروحي ، للدعاية للاشتراكية بغية انتزاع الشغيلة من قبضة السيادة الروحية للبرجوازية ، ونشر الافكار والتربية السياسية ، واجتذاب الحلفاء السياسيين .

الاهداف الاستراتيجية للدعاية الامبريالية

ما هي الاهداف الاستراتيجية التي تتوخى الامبريالية الاميركية تحقيقها من وراء حربها الاعلامية ، التي تكلفها سنوياً زهاء ٢,٥ مليار دولار ، ومن المرجح ان تصل قيمة مجموع الانشطة الاعلامية لـ ١٥٠ مليار دولار قبل نهاية هذا القرن حسب تقدير المؤلف الاميركي ويليام ديفيد سون ؟ .

ان الاهداف الاستراتيجية للدعاية الاميركية ، يمكن تحديدها بالتالي :

الأول : التخفيف من حدة الصراع الاجتماعي داخل المجتمعات الامبريالية ، والتقليل من اعراض الازمات المتفاقمة .

الثاني : مناوأة الاشتراكية العالمية وايديولوجية الطبقة العاملة ، والطموح الى زعزعة اركان المنظومة الاشتراكية واعادة النظام الرأسمالي اليها عن طريق « الحرب النفسية » والتخريب الفكري والدعائي الهدام .

الثالث : السعي لاقناع شعوب قارات آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية بان الخطر الذي يتهدد رفاهيتها تحديداً نابع من جانب الشيوعية .

وهذه المقولة تشكل جوهر الدعاية السياسية الخارجية للامبريالية الاميركية المنفذة في كافة القارات .

الرابع : درء وقوع التغيرات التقدمية الثورية في البلدان النامية والابقاء على آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية في مجال سيطرة وتحكم الامبريالية ، وتهيئة الظروف امام الرأسمال الاحتكاري لاستغلال شعوب هذه القارات .

الخامس : دفع شعوب القارات الثلاث لانشاء عالم على الطريقة الامبريالية . فهذه المهمة تعتبر الرسالة الرئيسية للاعلام الاميركي على حد قول المليونير هنري ليوس ، صاحب عدد من الصحف والمجلات الاميركية .

السادس : عزل شغيلة البلاد الرأسمالية عن تأثير الثقافة الاشتراكية . اذ انهم يتوجسون خوفاً من ان يدرك العمال الحقيقة عن الحياة في البلاد الاشتراكية . لذلك فهم يتفننون في استخدام كافة الاساليب الحاذقة من اجل تحريف اوضاع الشغيلة الحقيقية في الاقطار الاشتراكية ، والانتقاص من انجازات الثقافة الاشتراكية .

وهم اذ يقومون بذلك يعمدون الى تزيين صفحة الرأسمالية بأية اساليب كانت واخفاء عداءها للبشرية وجورها الملازمين لها بالفطرة ، وفرض معاييرها عن الحياة والثقافة ، وتسويد صفحة الاشتراكية بجميع الوسائل وتحريف فحوى الديمقراطية والحرية والمساواة والتقدم الاجتماعي ...

انهم يحاولون اظهار نظامهم الاجتماعي

والبناء القديم الذي يتمسكون به رغم اهترائه ، بكونه الاقل سوءاً بالمقارنة مع البديل الاشتراكي الحقيقي ، المتطور ابداً والمؤثر ايجابياً في الحياة الانسانية ، رغم كل الوقائع التي تؤكد الحقيقة التي اعلنها الكاتب الاميركي الدكتور فيليب تافت ، من جامعة بفالو بنيويورك بان تاريخ الولايات المتحدة الاميركية اكثر تاريخ دموي ومشبع بالاغتصاب (الاستغلال) من اي بلد رأسمالي متطور في العالم .

ولتحقيق هذه الاغراض تسخر الامبريالية الاميركية اكثر من ٤٠٠ منظمة ومركز معادي للشيوعية وللسوفيات منتشرة في ارجاء العالم الامبريالي ، ليس لها مهمة غير تلفيق التشويهات والروايات التشهيرية ضد منظومة الدول الاشتراكية ، وضد الانظمة الوطنية والتقدمية التي تناصب الامبريالية العداء والتي تجاهر في انحيازها الى جانب حركات التحرر الوطني ، وتقدم لها العون والدعم ، كانغولا ، وليبيا ونيكاراغوا .

السابع : تحقيق اكبر قدر ممكن من الارباح على اساس ان وسائل الاعلام تعتبر مشروعات تجارية ايضاً ، تتم من خلالها عمليات الترويج لمنتوجاتها الامر الذي يحيل البلدان الواقعة تحت هيمنة الاخطبوط الاعلامي الامبريالي الى صورة عنها ، وسوقاً لبضائعها المادية والروحية .

كل الامكانيات والطاقات من أجل احكام السيطرة

ان تحقيق هذه الاهداف الاستراتيجية للحرب العدوانية الاعلامية يكلف الامبرياليين مليارات من الدولارات يصعب حصرها ، بسبب تشعب الاجهزة وتعدد الاساليب المتبعة . فلدى الولايات المتحدة الاميركية مثلاً جهاز ضخم للدعاية والتوسع الثقافي والايديولوجي يضم الاتحادات الاحتكارية الخاصة للاذاعة والتلفزيون من جهة ، ويضم من جهة اخرى الاجهزة الحكومية التي انشئت خصيصاً للقيام بالدعاية والنشاط الهدام ضد البلدان الاشتراكية . وتركزت في هذا المجال بوجه عام قوى واموال هائلة ومئات الآلاف من مروجي الدعاية المأجورين وتقنيات جبارة واموال تقدر بالمليارات ! ..

في هذا المجال نذكر ان وزارة الدفاع الاميركية لوحدها تنفرد بتشغيل ١٢٢٧ متخصصاً في الدعاية ، وتصدر ١١٤١ فيلماً سينمائياً ، و٣٥٦٠ فيلماً تلفزيونياً ، و٣١٤٢ وحدة من المنتوجات الصوتية والمرئية سنوياً . وان لدى البنتاغون عدد كبير من المطبوعات ومحطات الاذاعة والتلفزيون خارج الولايات المتحدة . وهذا المنتوج الدعائي يروج عن طريق ٢٠٠٠ صحيفة يومية و٣٠ وكالة انباء و٢٥٠ محطة اذاعة و٤٠ محطة تلفزيون .

وتستخدم وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية في نشاطاتها التخريبية الهدامة اكثر من ١٢٠٠ هيئة اعلامية داخل الولايات المتحدة الاميركية وخارجها .

مقابل هذا السيل العارم لاجهزة الاعلام الامبريالية . سنكتفي بايراد بعض ما تصدره وسائل الاعلام في الاتحاد السوفياتي من نشريات دورية وكتب علمية ـ ادبية ـ ومجلدات كلاسيكية . وذلك بسبب تعذر حصولنا على معلومات شاملة للاعلام في البلدان الاشتراكية مجتمعة .

اولاً : يصدر في الاتحاد السوفياتي ١٥٠ جريدة موجهة الى مختلف الفئات الاجتماعية والاقتصادية مع مراعاة السن للقراء ... وهذه المطبوعات الدورية تصدر بـ ٤٦ لغة من لغات شعوب الاتحاد السوفياتي وبـ ٢١ لغة من لغات شعوب البلدان الاجنبية .

ثانياً : هناك اكثر من مئة مجلة تعكس القضايا الاجتماعية والاقتصادية ، وحوالي ٣٠ مجلة تعكس قضايا الحياة الدولية واكثر من ٥٠ مجلة مخصصة لمسائل الفلسفة والتاريخ والاقتصاد . وهناك عدد كبير من المجلات الادبية والعلمية والمبسطة والنسائية ، ومجلات للشباب وللاطفال .

ثالثاً : وتصدر سنوياً حوالي مئة دار متخصصة للطباعة والنشر اكثر من ١٥ الف كتاب في المواضيع العلمية والتكنيكية ... واكثر من عشرة آلاف كتاب ونشرة متعلقة بقضايا العصر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، واكثر من ثمانية آلاف كتاب من الادب الرفيع ، واكثر من ثلاثة آلاف كتاب للقراء الفتيان من مختلف الاعمار .

رابعاً : اضافة لذلك اصدرت دور النشر مجلدات ماركس ـ انجلز بـ ٤٩ لغة من لغات شعوب الاتحاد السوفياتي وبـ ٤١ لغة من لغات شعوب العالم ... كما اصدرت اعمال لينين بـ ٦٦ لغة من لغات شعوب الاتحاد السوفياتي وبـ ٥٣ لغة من لغات شعوب العالم .

وبهذا الصدد ، تشير الاحصاءات انه يخرج من المطابع السوفياتية كل يوم سبعة ، خمسة ملايين كتاب ، بحيث يضمن للبلد وضع طليعة الناشرين في العالم . وهو اللقب الذي يحتفظ به الاتحاد السوفياتي على امتداد سنين عديدة وحتى الآن . وبموجب هذه الاحصاءات فان كل سادس كتاب يضم الى « المكتبة العلمية » يصدر في الاتحاد السوفياتي .

الغلبة لمن ؟

ان الصراع قائم بين : الاشتراكية والرأسمالية ، بين التقدمية والرجعية ، بين الوطنية والعمالة ، بين التقدم والتأخر ، بين القوى الصاعدة والقوى المندحرة . وان نتيجته محسوبة بكثير من الدقة والعلمية ، ويكفينا التطلع قليلاً الى الوراء لتسعة وستين سنة خلت ، لندرك المآل التاريخي الحتمي للتطور .

فقعقعة السلاح لم تخف الشعوب ، ولم تحل دون انعتاقها واقامتها انظمتها الوطنية والتقدمية ... وكذا جعجعة الاعلام الامبريالي . خاصة وان لدى قوى الثورة العالمية من وسائل الاعلام ما يكفي للوقوف بوجه الحملات الاعلامية الامبريالية وتسفيه مضمونها وكشف كذبها وافتراءاتها .

قبلاً اعتبر ماركس ان اول صحيفة يومية في حياة اي حزب ، وخاصة في حياة الحزب العمالي ، هي خطوة جبارة الى الامام ، هي موقع متقدم ، يتمكن من خلاله الحزب ان يخوض منه على الاقل في مجال الصحافة نضالا مع خصمه بسلاح متكافيء . فكيف ، ونحن الآن امام منظومة من الدول الاشتراكية ، وحشد من الانظمة والقوى الوطنية والتقدمية وسيل عارم من وسائل الاعلام والدعاية ؟

الان ، اذا كانت هذه هي اهمية سلاح الاعلام ... فاي دور لعب هذا السلاح في الصراع الدائر على الساحة اللبنانية ؟.. واين تقف « الثوري » في هذا الميدان ؟

سوف نجيب على هذين السؤالين في العدد القادم .

سمير أحمد

حركة « الحياد » في مؤتمرها الثامن :

النهج الذي أعاق اطراد الثورة العالمية ضد الامبريالية والظاهرة التي فقدت حوافز وجودها

بقلم : هاشم علي محسن

- ١ -

منذ ثلاث عشرة سنة ، كتبت تحت عنوان : « مؤتمر الحياد : تعبير عن الاتجاه الانتهازي ضمن حركات التحرر الوطني الديمقراطي في القارات الثلاث »[١] . ومما جاء بمقالتي تلك : ان « المؤتمر الرابع لابطال السياسة الوسطية - الذي انعقد - تحت شعارات مضللة تحملها حركة « الحياد » لتعبر عن نهج الاجنحة اليمينية في حركة البورجوازية الوطنية التي صعدت الى مسرح الاحداث باعتبارها طبقة قائدة في ظروف الحرب العالمية الثانية وبعدها ... ان نهج « الحياد » لا مضمون له غير الانتهازية ، وليس هناك بلد محايد بالمعنى العلمي والموضوعي للكلمة » .

واضفت ما معناه ، ان المجتمعات البشرية ليس امامها اليوم ، سوى اختيار واحد من نهجين اثنين لا ثالث لهما : اما التزام موقف الانحياز للاشتراكية والوقوف الى جانب حركة الشعوب المناضلة ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، واما التزام موقف الانحياز للرأسمالية والارتماء بأحضان الامبريالية ومعاداة الشعوب وحركتها الكفاحية . واكدت على ان « حركة « الحياد » تمثل الانحراف عن نهج الثورة ورفض السير بها الى نهاياتها الحاسمة التي تنتقل بها الى الاشتراكية » لانها تمثل « النهج البورجوازي الرافض للاشتراكية العلمية ، والذي يقود دعاته في نهاية المطاف الى الالتقاء مع الرجعيين والامبرياليين . اما مشاركة الاشتراكيين العلميين في مؤتمرات « الحياد » فلا تغير من طبيعة ومضمون هذه الحركة » .

كتبت هذا الكلام ونشرته بمناسبة انعقاد المؤتمر الرابع لحركة « الحياد » او كما يسميها دعاتها : حركة « عدم الانحياز » ، لطرفي الصراع على الصعيد العالمي : معسكر قوى الثورة العالمية وطليعته البلدان الاشتراكية ، ومعسكر قوى الاستغلال والرجعية وطليعته البلدان الامبريالية ، اي محاولة الوقوف خارج دائرة الصراع بين الشعوب واعدائها !..

انني اذ ارجع لرؤيتي لحركة « الحياد » ، رغم مرور هذه السنوات ، فليس من اجل تأكيد صوابها ، ذلك انني اهملت الاهتمام بهذه الحركة ، منذ ادركت وسطيتها وانتهازية نهجها ، وحتى مقالتي تلك ، لم اكتبها تعبيراً عن اهتمام بها ، وانما ردعاً لانزلاق مجلة « الهدف » التي كنا نعتبرها مجلتنا ، لجوقة المهرجين للمؤتمر الرابع الذي انعقد في الجزائر عام ١٩٧٣ .

كما انني لم ارجع لرؤيتي تلك بمناسبة المؤتمر الثامن الذي عقدته الحركة في هراري عاصمة زيمبابوي ، بل ان الذي ذكرني بما كتبته قبل ثلاث عشرة سنة ، وحفزني للكتابة ، هو القائد العربي الكبير معمر القذافي بعد ان شاهدته يخطب في المؤتمر ! ..

لقد حضر القذافي مؤتمر الحركة الثامن والقى خطاباً هاماً جداً ، لم يسبقه اليه قائد حتى هذه الساعة . فماذا قال القذافي في خطابه بمؤتمر هراري ؟

(١) راجع مجلة « الهدف » البيروتية ، العدد ٢٢٢ الصادر في ٦/ ١٠/ ١٩٧٣ . او مؤلفي : « دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية » الكتاب الثاني ص ١١١ .

- ٢ -

أ : - لقد استهل القذافي خطابه[٢] بالتأكيد على ان الجماهيرية الليبية لن تتراجع عن الاستمرار بسلوك طريق الثورة ، الذي اختارته من اجل تحرر الانسان وتمكينه من نيل حريته !

وبعد ان اعاد التأكيد على ايمانه بتحرير فلسطين ، واشار الى ان وجوده في هراري من اجل رفع معنويات المقاتلين في سبيل الحرية ... بعد ذلك تحدث عن عدم جدوى حركة « عدم الانحياز » . فقال :

« انني لا اؤمن بان هناك اية جدوى لهذه الحركة ولم اقدم الى هنا من اجلها .

انني متأكد من ان عددا من اعضاء الحركة الجالسين معنا هنا ليسوا مع شعوبهم وليسوا بالتالي مع قضية الحرية ...

لا يمكن ان نخدع شعوبنا ومبادىء الحركة ونرضى بالجلوس مع الذين يتعاملون مع الصهاينة في فلسطين المحتلة ويعترفون باحتلالهم لها .

يوجد هنا في هذه القاعة عملاء حقيقيون للامبريالية واعداء للحركة وخونة مثل الانظمة القائمة في زائير والكاميرون وساحل العاج ومصر .

وبعد ان اعلن عن عزمه على عرض « مسألة الانسحاب من الحركة - التي فقدت اي مبرر لوجودها » على المؤتمرات الشعبية !.. »

وبعد تأكيده على ان الصهيونية والعنصرية ، هما مخلب قط للامبريالية ورأس رمح ودعامة لها .. بعد ذلك خاطب المؤتمرين ، قائلاً : لقد تعرضنا للعدوان الاميركي - الاطلسي البربري وقاومناه ، ولكن « ماذا فعلت حركة عدم الانحياز ازاء هذا العدوان . ان دول اوروبا الغربية اعلنت مباشرة بعد قيام الجماهيرية العظمى بتدمير محطة الاتصالات اللاسلكية الامريكية في جزيرة لامبيدوزا تضامنها الكامل مع ايطاليا ووقوفها معها في اية حرب » .

هذا هو التضامن الاوروبي ضدنا ، اما حركة « عدم الانحياز » فكان يمكن ان « تكتسب جدواها لو انها اعلنت للمعتدي والعالم ان الدول المئة وواحدا الاعضاء فيها سيشتركون في القتال الى جانب ليبيا والى جانب نيكاراغوا وزيمبابوي او اية دولة عضو تتعرض لعدوان استعماري من اي جهة » .

وبعد ان اشار الى تواطؤ نظام حسني مبارك مع الامبرياليين الاميركيين في العدوان على الجماهيرية الليبية ، وعدم استعداده للجلوس مع العملاء ... بعد ذلك تساءل عن الدور الذي لعبته الحركة والموقف الذي اتخذته ضد اميركا لدى غزوها لغرينادا وتلغيم موانىء نيكاراغوا وعدوانها على الجماهيرية . وبعد ان تحدى اعضاء المؤتمر ليكونوا خليقين بالاجابة على سؤاله ، جلب الانتباه الى ان استمرار الحركة من شأنه ان يكرس انعدام التضامن ويبدد جهد قوى الثورة العالمية ، مما يتيح للامبريالية ضرب الانظمة الوطنية والتقدمية واحداً بعد الآخر ، حفاظاً على الانظمة العميلة !..

« انني متأكد من ان عددا من هؤلاء الجالسين هنا ليسوا مع شعوبهم وليسوا مع قضية الحرية » .

« لا يمكن ان نخدع شعوبنا وان نخدع انفسنا بان كل اعضاء هذه الحركة هم غير منحازين وهم معنا ضد الامبريالية .

هنا في هذه القاعة عملاء حقيقيون وجواسيس قذرون للامبريالية والصهيونية والعنصرية . ان الذي يعترف باسرائيل هو عدو لهذه الحركة وعدو لقضية الحرية وعدو لقضية التحرر » .

وبعد ان كرر الاشارة الى التضامن الامبريالي الاوروبي - الاميركي ، ضد الشعوب المكافحة في سبيل حريتها ، خاطب المؤتمرين ، قائلاً :

« اتحداكم ان يقدم احدكم جزءاً من بلاده لقوات الجماهيرية العظمى لكي نضرب القواعد الامبريالية .

فلتعطني المغرب طنجة حتى نضرب قاعدة جبل طارق وانا اتحدى المغرب بذلك . ان حكومة بريطانيا قدمت الجزيرة البريطانية بكاملها الى امريكا لمساعدتها في العدوان .

يجب ان تقدموا لثوار جنوب افريقيا قواعد في كل الدول الافريقية وكذلك متطوعين للقتال مع ليبيا وكوبا وفلسطين ونيكاراغوا وثوار جنوب افريقيا بدلا من البيانات والدجل ..

انا اتحدى النظامين في الاردن ومصر ان يقدما لي قاعدة لضرب الصهيونية وانا اعلن انه لو قدمت لي هذه القاعدة فساضرب مفاعل ديمونة النووي الصهيوني الذي يصنع القنابل النووية التي ستبيد هذه المنطقة بالكامل .

ان الصهاينة قاموا بالهجوم على بغداد ودمروا المفاعل العراقي النووي المخصص للاغراض السلمية والخاضع للرقابة الدولية فماذا فعلت امريكا واوروبا لقد قام الممثل التافه ريغان بالاتصال بالارهابي بيغن وهنأه على ذلك العمل الارهابي .

اذا كانت الاردن ومصر الاعضاء في هذه الحركة هم مع قضية الحرية فانا اتحداهم امامكم الان ان يقدموا لي قاعدة لتدمير المفاعل النووي الصهيوني الذي ينتج الدمار لابادة الوطن العربي باكمله واكون بذلك قد ساهمت في تدمير جزء من الاسلحة الذرية التي يطالب العالم بالتخلص منها وتدميرها ولكن على العكس ، فمصر الان هي قاعدة امريكية - صهيونية تستخدم ضد الشعب الليبي والفلسطيني والمصري وضد قوى التحرر في المنطقة . ان عدداً كبيراً من بلدان الحركة هي مجرد قواعد امريكية وفرنسية وجسور لعبور قوات التدخل السريع لقمع حركة الشعوب في سبيل الحرية .

ما هذه المجاملة حيث تجتمعون كل ثلاث سنوات وتحملون خسائر مادية للبلد المضيف لكي تتبادلوا الابتسامات وتعودوا لبلدانكم ان هذه المجاملات تصل الى درجة الخيانة لقضية الحرية . فالمجاملة هي قضية شخصية محضة ولا يجب ان تكون هناك مجاملة بشأن قضية الحرية » .

وحول دور الحركة في السياسة الدولية قال القذافي : « ان دول الحركة لا تمتلك السلاح الاستراتيجي وهي بالتالي لا تستطيع فعل شيء بشأن نزع السلاح ماذا تفعلون بنزع السلاح الذي لا تملكونه ماذا ستفعلون بشأن حفظ السلام العالمي اذا كان صوتكم غير مسموع امام العمالقة .

ان سلة المهملات ستكون المكان الذي تلقى فيه القوى الكبرى بياناتكم بشأن هذه المسائل » .

(٢) راجع جريدة الفجر الجديد الليبية ، العدد ٥٣٠٥ في ١٩٨٦/٩/٥ .

ثم دعم رأيه بعدم جدوى « الحياد » ، بالتذكير بعدم احترام هتلر لحياد بلجيكا وهولندا ولكسمبورغ ، اذ اجتاح هذه البلدان ، اثناء مروره لمحاصرة فرنسا . وبعد الاعتداءات الاميركية المتكررة على دعاة الحرية ، فان جحافلها الامبريالية ، ستزحف على اراضي الدول التي ترفع راية « عدم الانحياز » .

وتساءل عما استطاعت الحركة فعله بالنسبة للحرب بين العراق وايران :

« ان الحركة غير قادرة حتى على ايقاف حرب بين عضوين فيها مثلما هي غير قادرة على الدفاع وحماية اعضائها ؟ » .

ووصف الاجتماعات التي تعقدها الدول الناطقة بالفرنسية سنويا برئاسة فرنسا وكذلك الكومنولث بانها وصمة عار على افريقيا .

واوضح : « ان كلمة الكومنولث هي كلمة مخجلة جدا اذ ان معناها الثروة العامة لبريطانيا الامر الذي يعني ان الدول الاعضاء فيها هي من ممتلكات بريطانيا » .

قبل ان نتابع عرض موضوعات الخطاب الهام الذي القاه قائد ثورة الفاتح من سبتمبر (أيلول) ، امام مؤتمر حركة « عدم الانحياز » الثامن ، يجدر بنا ان نتأمل بعض المفاهيم الواردة في القسم الذي عرضناه :

يقول القذافي : « انني اربأ بنفسي ان اخدع الجماهير وشعوب العالم الثالث ، اذا كان هناك عالم ثالث » .

واضح انه يشكك بوجود عالم غير عالمي : الاشتراكية والرأسمالية الامبريالية ، تشكيكاً يستند لتجربة عمرها يتجاوز ربع القرن ان لم نقل اكثر من ثلاثين سنة ، عنيت تجربة حركة « عدم الانحياز » .

ان مفهوم « العالم الثالث » فرية ، اطلقها الاستعماريون على بلداننا لكي يوهمونا بخصوصية مفتعلة ، نصدق معها ان مجتمعاتنا تمثل عالما ثالثا ، بين الاشتراكية والرأسمالية ، علما بان ليس هناك مقياسا علميا يمكن ان تصنف بلداننا بموجبه على انها « عالم ثالث » ذلك ان اي مجتمع من المجتمعات تتحدد طبيعته باسلوب الانتاج الذي يحكم الاتجاه الرئيسي لتطوره وبطبيعة اقتصاده والايديولوجية المعبرة عنهما .

من هنا ينبغي ان يكون تصنيف بلدان العالم ، بما فيها بلدان القارات الثلاث على اساس ان بعضها اشتراكية وان بعضها الآخر غير اشتراكية ، بمقياس طبيعة اسلوب الانتاج السائد اي طريق الحياة الذي يلتزمه المجتمع لتطوره والاقتصاد والايديولوجية المعبرة عنها ، وتصنف ان كانت مع الامبريالية او مع الاشتراكية من خلال موقفها السياسي المعبر والعاكس لطبيعة اقتصادها وطبيعة القوى الطبقية السائدة فيها .

واذن ، فان وجود عالم ثالث ، لا يعدو عن كونه وهماً من الاوهام التي ينبغي عدم الوقوع بها ، بغية التحرر من مضارها وتجنب المأزق الذي تقود اليه !..

ان الامبرياليين لا يحاربون الافكار التقدمية ، بسبب طبيعتها فقط ، بل انهم يحاربون من يحاول القيام بترجمتها . ففي بلدانهم يبدو مجال الحرية واسع والتفكير الحر مباح . اما في بلداننا التي يعتبرونها تابعة لهم ، فنجدهم يلاحقون دعاة التحرر والتقدمية . اما تفسير هذه المفارقة ، فنستمده من ارض الواقع والممارسة العملية ، ذلك اننا لا نفكر فقط ، كما هو شأن المفكرين في البلدان الامبريالية ، وانما نحن نحاول ان نترجم تفكيرنا الى عمل ملموس يعيد تشكيل وعي الجماهير ويستنهض حركتها الكفاحية ، ضد ظلمهم واستغلالهم ، لذلك فهم يشنون الحرب علينا لاننا نمارس عملا يلحق الضرر بمصالحهم الاستعمارية . ومعمر القذافي ما كان يمكن ان يتعرض لمحاولة الاغتيال التي لجأت اليها الولايات المتحدة الاميركية ، لولا انه داع للحرية ، ولولا ان دعوته وسعيه لترجمتها قد الحق الضرر بالامبريالية وعملائها !..

ب : ـ لقد سبقت الاشارة الى ان القذافي قد استهل خطابه ، بالقول : « ان الجماهيرية تضع كافة امكانياتها وتفتح كل معسكراتها ومخازن اسلحتها للمقاتلين في سبيل الحرية في جنوب افريقيا وافريقيا الغربية ـ ناميبيا وفلسطين وامريكا الوسطى والجنوبية » !..

« يوم امس التقيت مع ثوار ومناضلي المؤتمر الوطني الافريقي ـ ووضعنا معهم الخطط الكفيلة بتصعيد الكفاح المسلح لتحرير جنوب افريقيا .

ان ليبيا رغم التهديدات المستمرة من قبل اكبر قوة عسكرية ومادية فوق الارض ، فانها لن تتراجع قيد انملة في الدفاع عن قضايا الحرية في جميع انحاء العالم » .

انني لن « اتراجع عن المواجهة الشجاعة ضد امريكا وحلفاء امريكا وعملاء امريكا . انا لا اخشاهم وقد اعلنت استعدادي يوم الفاتح في طرابلس اذا ما استمرت الغطرسة الامريكية فانني على استعداد لأن اخرج من ليبيا واعلن عن تشكيل جيش عالمي سابذر افراده في كل قارات العالم لتحترق الارض تحت اقدام امريكا في كل مكان وها انا اكرر ذلك امامكم : انني على استعداد للخروج من ليبيا حتى لا اعتبر رئيسا للدولة وتشكيل جيشي السري من عشرات الآلاف ولن تستطيع حاملات الطائرات الامريكية على الاشتباك مع افراد هذا الجيش كما ان اسلحتهم العابرة للقارات لن تستطيع ملاحقة افراد هذا الجيش الذي سينتشر في كل بقاع الارض .

انني استطيع بواسطة هذا الجيش ان اهزم امبراطورية النازية الجديدة وان ادمر وجودها . ان عدد هذا الجيش سيزداد يوما بعد يوم لان كل شعوب الارض تكره امريكا .

ان امريكا التي ترهب العالم تهدد بلادي بصواريخ كروز العابرة للقارات وبذلك فانها تتبنى ارهاب الدولة الرسمي ونحن نعلن رفضنا لارهابها وتأكيدنا لقرارنا على مواجهة امريكا رغم عدم وجود اية مقارنة بين قوتي البلدين .

ان الغطرسة الامريكية ستتحطم على صخرة المقاومة الشعبية الاممية . ان نابليون بونابرت الذي صال وجال في اوروبا خارت عزيمته وانهار عندما واجهته المقاومة الشعبية في هضاب اسبانيا وكذلك الحال بالنسبة لهتلر الذي كانت نهايته على يد حرب التحرير الشعبية التي خاضتها قوات الانصار في اوروبا الشرقية التي كانت هي الفيروس الذي دمر خلايا جسد النازي العملاق وجعلته ينهار .

اننا سنلجأ الى اسلوب الحرب الشعبية لتحطيم الامبراطورية الارهابية الامريكية والتي هي مثل امبراطورية هتلر تعتبر الكرة الارضية كلها مجالا حيويا لها . ان امريكا تريد ان تخلق هزيمة نفسية لنا وترهبنا ثم تتقدم عندما نكون خائفين ، لذلك فانني اعلن

باعتباري اول شخص تعرض للارهاب الرسمي الامريكي المباشر في بيته وعائلته وشعبه اعلن فشل هذا المخطط وبأنني لا اسلم باكذوبة عدم هزيمة امريكا واؤكد مجددا انني لست خائفا منها .

لقد دعوت الجماهير الشعبية في ليبيا ان تغني وترقص وتقاتل وهذا ما حدث بالفعل وسط الاضواء التي طلبت عدم اطفائها وذلك لنثبت لامريكا بان الهزيمة النفسية لم تتم. لدينا في الجماهيرية العظمى مليون مقاتل مسلح من الرجال والنساء منتشرين على طول الساحل كما قمنا باعداد لافتات ضخمة في مواجهة البحر كتب عليها نحن في انتظاركم وكذلك الاسماك » .

وقد فسر قراره الداعي لان تخوض الجماهير معركتها ، في وسط الضوء وهي تغني وترقص ... فسره بانه اشعار للمعتدين الامبرياليين الاميركيين بان ليبيا ليست خائفة ، وهي تدرك ان هزيمتها نفسياً ستلحق ضرراً بالغاً بكفاح الشعوب التي تقاتل في سبيل الحرية والانعتاق .

ان صمود ليبيا في وجه العدوان الامريكي الاطلسي البربري الفاشل كما كان بعد انتصار الشعب الفيتنامي والصمود الكوبي قد ساهم في رفع الروح المعنوية للشعوب التي تقاتل ضد الامبريالية . ان الكفاح الذي تخوضه شعوب فلسطين ولبنان وجنوب افريقيا وناميبيا وصمود الشعب السوري هو مكسب لنا جميعا ويجب ان نعمل على دعمه وتصعيده » .

مرة اخرى يدعونا القذافي لتأمل هذا القسم من خطابه ، المعبر عن ايمانه بضرورة مجابهة الظالمين اعداء الانسانية .

يوم اجتماع القيادة القومية للقوات العربية الثورية في شباط (فبراير) الماضي ، في طرابلس الغرب كان بين الحضور من حذر القيادة العربية الليبية من مغبة التمادي بنهجها الثوري ونصح العقيد القذافي بضرورة التزام جانب المرونة وعدم اعطاء الامبرياليين حجة لضربه !..

ويوم شنت زعيمة معسكر الامبريالية والصهيونية والرجعية عدوانها على الجماهيرية عامة وعلى شخص القذافي خاصة ، كان هناك من تحدث عن ان الشموخ النضالي الليبي تلقى الضربة الكفيلة بتحجيمه « وعقلنته » ، وقد اتخذ من بعض مظاهر الارتباك التي حدثت في المدن التي تعرضت للعدوان حجة لتدعيم تصوره للموقف العربي الليبي !..

يقولون ان الوقائع اشياء عنيدة ، وها هي الجماهيرية وشعبها وقائدها ، تتابع شموخها النضالي ، رغم العدوان الذي يستمر بتهديدها !..

ان القذافي يدرك دور العامل النفسي في المعركة ، بحكم كونه مفكراً ملتزماً بقضية تحرر الانسان من الظلم والعسف . ولذلك فانه على يقين من ان مجرد انخفاض اللهجة التي يتحدث بها ، لا يلحق ضرراً بمعنويات الجماهير فحسب ، بل انه يشجع الامبرياليين على متابعة ضغطهم كي يدفعوه للركوع . وبهذا الادراك فانه تميز عن اولئك القادة الذين يستخلصون عبر التراجع وتهذيب لهجتهم لدى مخاطبة المعتدين بغية اتقاء شرهم ! ..

ان الشعب العربي الليبي امضى سبعة عشر عاماً في ظل الثورة ، اي في ظل حياة الاستقرار والرفاهية ، التي تخلق حالة من حالات الاسترخاء رغم التعبئة الفكرية والسياسية . لذلك فان حدوث شيء من الارتباك لدى الجماهير للوهلة الاولى ، امر طبيعي بحكم صدمة المفاجأة !..

لقد ارتبك الشعب العربي الفلسطيني عام ١٩٤٨ ، امام الاجرام الصهيوني ، فاصبح لاجئاً ، ولكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه ليعلن الثورة . وشعبنا العربي اللبناني ، عانى بعض الارتباك عندما فاجأه الصهاينة باجتياحهم لثلثي وطنه عام ١٩٨٢ ، ولكنه سرعان ما استنهض قواه وحول انتصار الاعداء الى هزيمة لهم !..

واذن ، فان مقياس الحكم لا يتمثل بحدوث الارتباك اثناء المواجهة الاولى ، خاصة اذا لم يكن هدفها واضحاً تماماً . وانما المقياس يتمثل بصمود الموقف العام في ميدان المجابهة . وبعد ذلك ينبغي مراقبة الوضع لمعرفة فيما اذا كان الارتباك مجرد حدث عابر ناجم عن حجم المفاجأة الذي حملته صدمة العدوان ، ام انه شعور بالندم على سلوك طريق الثورة المستمرة في سبيل حرية الانسان وتحرره !..

ان متابعة الموقف العربي الليبي ومسلكية القيادة العربية الليبية ، بعد تعرضها للعدوان دليل واضح على ان المعتدين لم يحسنوا التقدير ولم يعرفوا مدى صلابة هذه القيادة التي اجمع المراقبون لسلوكها منذ ذلك الحين حتى الآن ، على انها ازدادت صلابة وقدرة على التحدي . وانها قد استخلصت العبر والدروس المؤكدة لثورية نهجها وسلامة موقفها . وخطاب القذافي امام قمة « الحياد » ، واحد من الادلة الناطقة بهذه الحقيقة .

جـ : ـ يستطرد القذافي بخطابه المشار اليه آنفاً ، ليجاهر اعضاء المؤتمر بالحقيقة التي استخلصها من واقعة العدوان :

« ان حركة عدم الانحياز يجب ان تلغى وانا شخصيا لست غير منحاز فانا وهذا ما يدركه الجميع منحاز بالكامل ضد امريكا وضد الصهاينة وضد الحلف الاطلسي .

ان كلمة الحياد تعني الوقوف بالوسط على مسافة متساوية بين حلف « وارسو » وحلف « الناتو » فهل يقبل احدكم ان يقف على مسافة متساوية بين الطرفين : الاشتراكي والامبريالي . ان من يقول انه يرفض الوقوف عند تلك المسافة فهو منحاز؟ » .

« وانا اؤمن بحقيقة تقسيم العالم الى معسكرين احدهما للتحرر والآخر للامبريالية ولا وجود فاعل لاي تكتل آخر . ان معسكر التحرر لا يعني الانضمام الى حلف وارسو وانما التحالف معه في مواجهة المعسكر الامبريالي فحلف وارسو مشمول بالجبهة المعادية للامبريالية . اما القوى الرجعية في الحركة فهي في خدمة المعسكر الامبريالي ولا توجد حاجة لاعلان انضمامها اليه . ان وجود القوى الرجعية والعميلة في صفوف الحركة يشكل خطرا كبيرا حيث لا يعقل ان يكون النظام المصري مثلا مساندا لقضية الحرية لان هذا النظام استباح اراضي مصر للقوات الامريكية للتدريب على الغزو والعدوان على الشعب العربي الليبي » .

وبعد ان تساءل عن مبرر وجود الانظمة العميلة في صفوف الحركة ، « دعا قوى التحرر داخلها الى فك ارتباطها مع هذه الانظمة القذرة وعلى رأسها النظام المصري والكاميرون ونظام ساحل العاج وزائير وقال كيف يمكن جمع المناضلين الشرفاء مع الخونة والجواسيس ؟ » .

« انني اتحدث عن ضرورة حدوث انشقاق وزلزال داخل الحركة مضاد للامبريالية على المستوى الدولي . ان المعسكر الاشتراكي بحاجة لمساندة الشعوب الصغيرة في مواجهة الامبريالية بحيث تتضافر الجهود في تحالف قوى ضد الامبريالية واخطبوطها السرطاني الخبيث » .

« انا اؤمن بان هناك معسكرا للتحرر وان هناك معسكرا للامبريالية واعاهدكم من هذا المنبر انني ساعمل من الان فصاعدا بكل ما اوتيت من امكانيات لتقسيم هذا العالم الى معسكرين فقط : معسكر للتحرر ومعسكر للامبريالية » .

« ان حلف وارسو سيكون ضمن المعسكر التحرري ومثلما يحتاج هذا الحلف لتحالف شعوب العالم الصغيرة معه فنحن ايضا في حاجة الى تأكيد التحالف في مواجهة الامبريالية والتي هي العدو المشترك لنا جميعا » .

نحن امام مرحلة جديدة وانا اتوقع ان الاستعمار العسكري سيعود لبلداننا من جديد . ان بوادر ذلك قد بدأت في الظهور مثل احتلال امريكا لغرينادا وتلغيم موانىء نيكاراغوا وتحالف امريكا وبريطانيا واستخدامهما للاسلحة الاستراتيجية لضرب دولة صغيرة مثل ليبيا » .

وتساءل : « هل عبرنا البحر والمحيط وغزونا الدول الاطلسية وهل قمنا باقامة مستعمرات سوداء في العالم الابيض واضطهدناهم وهل قمنا بانتاج الاسلحة الذرية التي تهدد البشرية بالفناء ؟

نحن لا نرغب الا في ان نعيش احرارا وآمنين في بيوتنا فيما يريدون هم استعبادنا .

نحن امام ظلم صارخ وامام عقلية استعمارية متخلفة جدا لم تصل الى مستوى التحضر بعد .

ان هذه العقلية للاسف تملك كل اسباب الدمار بسبب اغتصابها لثرواتنا وانا اقول ليس هناك اية امكانية او جدال مع هذه القوى المجرمة قتلة الاطفال .

ان العدوان الذي تعرض له بيتي شاركت فيه ثلاث وثلاثين طائرة امريكية من طراز اف ١١١ خصصت لقصف منزلي وخيمتي ومكتبي في القيادة مسنودة بثلاثين طائرة بوينغ ٧٠٧ تزودها بالوقود فيما تهاجم ثلاثون طائرة من الاسطول السادس مدينة بنغازي محمية بثمانين طائرة مطاردة وخمس طائرات تشويش تستخدم لاول مرة لكي تقوم بالتشويش على منظومة الدفاع الجوي الليبي الجبارة في عربدة لم يسبق لها مثيل » .

وتساءل : « ماذا فعلت حركة عدم الانحياز امام هذه العربدة المجنونة وكيف اقنع شعبي بالاستمرار معكم وانتم لم تمدوا لنا يدكم عندما كان اطفالنا يموتون بقنابل الدول الكبرى . انني انطلق من ايمان عميق بضرورة جبهة تحرر جماعية لمواجهة ومحاربة الامبريالية واذا كانت القوى الكبرى غير حريصة على السلام العالمي فليذهب هذا السلام الى الجحيم ونحن لم ينصبنا احد حماة للسلام .

ان الحد الاقصى ان نقيم نظام دفاع جماعي لحماية انفسنا . ان الحشد العسكري الهائل الذي استهدفني شخصياً كان في حقيقة الامر يهدف الى اجهاض قضية الحرية وعرقلة وصولي الى هنا لاقول ما قلت .

ان الامبرياليين مسرورون بهذه الحركة لانها ملهاة دولية لاكثر من مائة دولة وتربة خصبة لزرع الجواسيس والعملاء » .

وكان واضحاً جداً، وعازماً على متابعة طريق الثورة ومجابهة اعداء الانسانية ، حين شدد على ضرورة قيام مثل هذا الانقسام على الصعيد العالمي ، دون الأخذ بنظر الاعتبار للفوارق بين الشعوب المناضلة ، التي تجمعها قضية الحرية والتحرر التي هي قضية مشتركة :

« انني اجلب الانتباه الى عدم جدوى اي تجمع ديني او قومي او جغرافي وكذلك حركة عدم الانحياز في المواجهة ضد الامبريالية .

ليس امامنا في ظل هذا الوضع الا العمل على خلق جبهة عالمية جديدة لا تخضع للعوامل الدينية والقومية والجغرافية بل يجمعها الكفاح المشترك ضد العدو المشترك » .

ثم اختتم خطابه بدعوة الحريصين على استمرار الحركة ، الى البحث عن حل يخرجها من مأزق العجز الذي تعيشه شريطة ان يكون قائماً « على قطع العلاقات السياسية والاقتصادية وغيرها مع اميركا وبريطانيا والصهاينة في فلسطين المحتلة والعنصريين في جنوب افريقيا » ، وان يقدم مثل هذا الحل قبل الانتهاء من اعمال المؤتمر الثامن ! ..

لقد انتهت اعمال قمة « عدم الانحياز » ، ولم يتقدم احد بمشروع بديل للمشروع الذي قدمه القذافي . ولكن بعض اعضاء الحركة قد ابدوا موافقتهم على مضمون خطابه ، غير أنهم اعترفوا بعجزهم عن التحلي بالشجاعة التي تحلى بها !..

ان القذافي لم يكن جريئاً للدرجة التي جعلته يضع نقاط عجز حركة « الحياد » وفشلها الذريع على حروفها ، فحسب ، وانما كان صادقاً مع نفسه وشعبه ، وامينا على وعوده ، وحريصاً على ان يقرن القول بالفعل احتراماً لقدسية الكلمة ، وضماناً لترسيخ محتواها . ذلك انه قد اعلن منذ ست سنوات ، امام مؤتمر الشعب العربي :

« لو اصبح هناك خيار في ساعة من الساعات ، ان نقاتل مع العلم الاحمر او مع العلم الابيض ، طبعاً في هذه الاوضاع القائمة سنقاتل تحت العلم الأحمر »[٣] !..

قال هذا الكلام في التاسع عشر من كانون الثاني عام ١٩٨١ ، امام الملأ وعلى رؤوس الاشهاد ، وها هو يؤكد اختياره في مقاتلة الامبريالية والصهيونية والعنصرية !..

لقد وجدت فيما قاله القائد العربي الكبير تأكيداً لقناعة ما تزال راسخة رغم تقادم الزمن . ولو ان قائداً غير صاحب النظرية الثالثة ، الذي لم يسن يكرر امنيته الكبيرة ، ورغبته الاكيدة في ان تتحرر الشعوب من الظلم وان تتمتع بحريتها وسلطتها وثروتها ... لو ان قائداً آخر قد قال ما قاله القذافي في حركة « الحياد » ، لربما امكن الطعن بشهادته . اما وان القذافي هو من اعلن فشل الحركة وحلها بعد ان فقدت مبرر وجودها ، فان شهادته لا تفند ولا تدحض ، لذلك فانني اشعر بالارتياح والاعتزاز في آن معاً : انني مرتاح لان تطورات مسيرة حركة « الحياد » . قد جاءت مؤكدة صواب رؤيتي الاستباقية ، التي حذرت من النهج المعيق لاطراد

(٣) هاشم علي محسن : « دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية » الكتاب الثاني ، ص ٣٨٢ .

الثورة العالمية ضد الامبريالية ، الذي تمثله الدول المتسترة بادعاء « الحياد » في وقت تمارس فيه دور العميل الخادم لسادتها الامبرياليين والصهاينة والعنصريين من جهة واشعر بالاعتزاز ، لان الصوت المدوي الذي اعلن افلاس الحركة وفشلها وتحولها الى وكر للجواسيس والعملاء من حكام بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، هو صوت قائد عربي شمل تأييده المعنوي ودعمه المادي عدداً عديداً من قوى الثورة في العالم !..

- ٣ -

ولكن كيف ينبغي ان نفهم قول القذافي :

انني اذ اعلن عزمي الأكيد على تدمير حركة « الحياد » وتشكيل جبهة عالمية تحمل علم الحرية والثورة في وجه جبهة الامبريالية والصهيونية والعنصرية ... انني اذ اعلن تصميمي هذا فلن انسى « اولئك الاقطاب الافذاذ الذين اسسوا هذه الحركة ، ان جهود ناصر ونهرو وتيتو وسوكارنو ونيكروما ، تمثل تراثاً عظيماً للانسانية ، الا انه واضح ان تلك المرحلة قد انتهت وانها تختلف عن المرحلة التي نعيشها الآن » ... كيف ينبغي فهم هذا القول ، وكيف نفسر بلوغ حركة « الحياد » هذا المستوى المتدني وسقوطها بحضيض العمالة والتجسس والرجعية ؟

ليس هناك من يجادل ، حسب ظني ، باطراء القذافي لمؤسسي حركة « الحياد » ، وثنائه عليهم اذ وصفهم بالافذاذ . ذلك ان تراثهم الوطني والقومي لا ينال الشك من عظمته وثرائه . فمن يستطع ان يطعن باخلاصهم لشعوبهم وقيادتهم لكفاحها وتفانيهم في سبيل تطورها وتقدمها ؟

مهما كانت المآخذ وحجم الاخطاء التي ارتكبها كل منهم ، فانها هفوات المثابرة على العمل والدأب في الكفاح ضد اعداء شعوبهم !..

ان المقياس الذي حاكم القذافي بموجبه اعضاء المؤتمر ، هو الوطنية والاخلاص للشعب . وكان الاقطاب المؤسسون ، يتحلون بهذه الصفات ، في حين ان غالبية اعضاء الحركة قد اصبحوا اليوم في مواقف تتعارض كلياً او جزئياً مع النهج الذي تصوره اولئك الاقطاب المؤسسون للحركة ، فكيف حدث ذلك من الناحيتين : الموضوعية والذاتية ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تدعونا لان نعود للظروف التي خلقتها الحرب الامبريالية العالمية الأولى والتي دفعت شعوب المستعمرات والتابعات للثورة طلباً للتحرر !..

ان الحرب الامبريالية العالمية ، قد زجت شعوب هذه البلدان في ميدانها ، مما اتاح لها اكتساب معرفة كيفية استخدام السلاح وامتلاكه . فضلا عن ان الحرب قد انهكت القوى الامبريالية ، اذ الحقت الهزيمة ببعضها واضعفت المنتصرة منها . وقد جاءت ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا القيصرية لتشكل حافزاً قوياً لكفاح الشعوب ، اذ عززت القناعة بامكانية الانتصار والفوز بالحرية ، فضلاً عن اهمية وجدوى الدور الذي لعبته الأممية الثالثة التي كانت العامل الحاسم في دعم ثورة اكتوبر وفي نشر نفوذ الاشتراكية وتوسيع رقعتها ، على حساب الرأسمالية الامبريالية وعملائها !..

ولدى العودة لتلك الظروف ، ومتابعة التطورات التي عصفت بمجتمعات هذه البلدان خاصة ابان وبعد الحرب العالمية الثانية ، نلحظ دوراً بارزاً للبورجوازية الصغيرة ، في حركات التحرر الوطني بهذه البلدان ، لدرجة توهم معها العديد من المفكرين بان هذه الفئة هي صاحبة الثورة ومقررة مصيرها . وان الثورة بقيادتها ستتابع السير بطريق التطور اللارأسمالي . بيد ان هذه الأوهام قد تبددت بعد ان تبين عجز العديد من تلك الثورات عن متابعة السير بطريق الثورة ، وانحرافها عن نهجها الثوري وارتمائها باحضان الامبريالية وتخليها عن مفاهيمها وشعاراتها ومنجزاتها الاقتصادية والثقافية والسياسية !..

لقد نفذت العناصر البورجوازية الصغيرة العديد من الثورات الوطنية الديمقراطية ، غير ان الارتباط بين الفئات البورجوازية على اختلافها قد جعل حركة هذه العناصر تندمج بالحركة العامة للبورجوازية الوطنية التي تضم فئات وعناصر مختلفة : صغيرة ومتوسطة وبعض عناصر البورجوازية الكبيرة التجارية والصناعية التي تشعر بالغبن من جراء هيمنة البورجوازية العميلة على مجالات الاحتكار والاستغلال .

ولكن البورجوازية الصغيرة ، لا ترتبط مع فئات البورجوازية الوطنية ، فحسب ، بل انها ترتبط ايضا بعلاقة وثيقة بالجماهير الشعبية وحركتها الثورية . لذلك فان الفئة البورجوازية الصغيرة ، وخاصة فئة الضباط العسكريين ، هي اداة منفذة للثورة باسم جميع الطبقات والفئات والعناصر التي ترى لها مصلحة في قلب نظام العمالة والرجعية . وفي هذه الحقيقة الموضوعية نلحظ مصدر الوهم بامكان السير بطريق التطور اللارأسمالي !..

لا ريب في ان العناصر المنفذة للثورة تحتل مركزا هاما في تقرير مصير الثورة ، بيد ان الحديث عن طبقة معينة يتجاوز حدود هذا الاعتبار . فحتى قيادة الثورة لا تستطيع ان تمارس دورها القيادي في فراغ وانما تجد نفسها مضطرة ، سواء وعت ذلك ام لم تعه ، للتعبير عن مصالح طبقة أو طبقات وفئات وعناصر اوسع من اطارها وحتى من حيز انتمائها الطبقي . ولذلك نلحظ ثورة وطنية ديمقراطية تتابع مسيرتها وتحقق مهامها الوطنية الديمقراطية وتنتقل الى الثورة الاشتراكية .

وفي مقابل ذلك نلحظ ثورات وطنية ديمقراطية تعجز عن متابعة مسيرتها الثورية وتتوقف في منتصف الطريق . اما سبب هذا التوقف ، فيعود الى طبيعة التناقضات التي تحكم مسار الثورة منذ نشوئها حتى نهايتها !..

ان العناصر التي تنفذ الثورة ، تجد نفسها بعد نجاحها في وضع يختلف عن الوضع السابق ، فهي اذ تسقط النظام الرجعي القائم ، انما تطلق قوى طبقية وسياسية وثقافية وعسكرية ، لم تكن منظورة بسبب طبيعة تركيب النظام الرجعي الطبقية ، ولذلك تبدأ قوى البورجوازية الوطنية وكل القوى التي يتاح لها ان تنضم الى صفوف الثورة ... تبدأ القوى البورجوازية على مختلف انتماءاتها بالتحرك من اجل الهيمنة على زمام السلطة وتقرير مصير الثورة !..

هنا ينشب صراع ضار حول تقرير مصير الثورة وتحديد اتجاهها يستقطب كافة قوى المجتمع في ميدانه ، وقد يفوق في ضراوته واهميته ونتائجه الصراع الذي ادى الى حدوث الثورة نفسها اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار كون الأمر الأهم من قيام الثورة هو مستقبلها وطبيعة المهام التي ستقوم بانجازها . وعما اذا كانت مهمتها بناء نظام رأسمالي ، أم بناء قاعدة مادية تسمح بالشروع في الثورة الاشتراكية ؟

لا شك في ان تحريك قطعة عسكرية للاستيلاء على الاذاعة ومرافق الدولة في غفلة من اصحابها ، امر هام ، ولكن الأهم منه أن تكون هذه الخطوة بداية حقيقية لخطوات اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية ، تحدث تغييرا جذريا في حياة المجتمع وتنقله من اوضاعه المتخلفة الى اوضاع متقدمة ترتفع به الى مصاف الحياة اللائقة بانسان عصرنا الراهن ... عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية !..

لا ريب في ان نهج « الحياد » الذي رسمه مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ قد لعب دوره في ايهامنا بكون البورجوازية الصغيرة هي الطبقة الوحيدة القائدة للثورة ، بحكم كونه نهجاً وسطياً يعبر ويعكس موقع البورجوازية الصغيرة في العملية الانتاجية ، في حين ان كافة فئات وعناصر البورجوازية الوطنية مهما كان مركزها وموقعها الطبقي لا تجد بديلا عن نهج « الحياد » السياسي لدى الاختيار بين ان تكون ملحقة بالبورجوازية التجارية الكبيرة العميلة للاستعمار وبين ان تكون شريكة في السلطة التي تقيمها الثورة الوطنية الديمقراطية المتصلة بالثورة الاشتراكية والمتداخلة معها !..

ولكن اختيارها هذا سيكون مدفوعاً بمصالحها الطبقية ، لذلك فانها تناضل بعد قيام الثورة من اجل منع الثورة عن الانتقال لمرحلة التطبيق العملي للاشتراكية العلمية خوفاً من تصفية مصالحها الطبقية المتمثلة بالملكية الخاصة والامتيازات التي توفرها لها مواقع نفوذها في السلطة !..

ان البورجوازية الوطنية ، تفتقر للوعي المسبق لآفاق تطور الثورة ، لذلك فان اندفاعها بطريق المباشرة بمهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، بقدر ما يكون مدعوماً بحركة الجماهير الشعبية ، فانه يلعب دوراً هاماً بدفع هذه الجماهير لتصديق الاوهام التي تنشرها البورجوازية عن « اشتراكيتها » والتزامها بمهمة تحرير الجماهير وتحويل المجتمع من واقعه المتخلف الى واقع متقدم ومتطور . ولكن صعود حركة الجماهير الشعبية ومطالبتها بالمزيد من الاجراءات الاقتصادية ـ الاجتماعية والسياسية ، يثير مخاوفها ، خاصة وان المنجزات التي تحققها ، بقدر ما تحقق قفزة في تطور هذه المجتمعات ، فانها وبقدر اكبر توسع مصالح الفئة الحاكمة وامتداداتها الطبقية ، الامر الذي يجعل اطراد التطور خطراً على مصالحها الطبقية لذلك تبدأ بوعي ضرورة قمع حركة الجماهير ووضع حد لمطالبتها بالمزيد من اجراءات التأميم وضرب الامتيازات الطبقية !..

ان تصور البورجوازية الوطنية ، وكأنها تخطط عن وعي وادراك منذ البداية لانحرافها عن الثورة وارتدادها عنها ، بجانب للموضوعية . فلو كانت واعية ومخططة للانحراف والتراجع ، لاحجمت عن الاندفاع في طريق الاجراءات التي اتخذتها ، اصلاً ، ولباشرت عملية المساومة مع الفئات التي اسقطتها منذ البداية !..

ان تراجع البورجوازية عن الثورة والارتداد عن منجزاتها ، موقف منسجم مع طبيعتها الطبقية . فهي حين تحصر حركة الثورة ومنجزاتها باطار مصالحها ، انما تقوم بتوسيع قاعدتها ومصالحها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . هكذا تتصرف الطبقات ، وهذا هو شأن الدولة باعتبارها اداة بيد الطبقة المسيطرة لخدمة اغراضها وتحقيق اهدافها . ولكن الحاكمين البورجوازيين ، بقدر ما يجنحون نحو مصالحهم الضيقة ، فانهم يبتعدون عن قاعدتهم الشعبية ، التي عملوا على توسيعها خلال فترة صعودهم الثوري ، ويقتربون من بقايا الطبقات الرجعية التي بقيت قوة اقتصادية كامنة في الريف والمدينة. اما حدوث ذلك الابتعاد والاقتراب، فلا يرجع لوعي وتخطيط مسبقين . فالبورجوازية الوطنية وغالبيتها الساحقة تتكون من البورجوازية الصغيرة في الريف والمدينة ، عندما تقوم بضرب الاقطاع بالاصلاح الزراعي وبضرب الرأسمالية الاحتكارية بتأميم المؤسسات الصناعية والتجارية والمالية الكبرى ، انما تقوم بحماية وجودها في السلطة وتدعيم هذا الوجود ، لان الاقطاع والرأسمالية الكبيرة هما القوتان الداخليتان اللتان تجابهانها عند قيام الثورة ، ولذلك فانها تقوم بضربهما سياسيا واقتصاديا دون ان يخطر ببالها ان عملية الضرب هذه ستكون خطوة على طريق التحالف معها . ولكن القوى الرجعية والامبريالية بعد ان تخوض معركة المجابهة مع البورجوازية الوطنية بغية ارهاقها تعمد الى تغيير مخططها ، اذ تتراجع عن المواجهة وتتظاهر بالولاء للسلطة والخضوع لسياستها ، تراجعا يتوافق مع تراجع بعض الفئات البورجوازية الوطنية الحاكمة عن الثورة . وبعملية التراجع التكتيكي التي تمارسها القوى الامبريالية والرجعية ، تبرز لدى الفئة الحاكمة اكثر فاكثر الميول المعادية لحركة الجماهير الشعبية ، فيتم التضييق عليها وتتقلص فرص الحريات الديمقراطية ، الامر الذي يزيد من فاعلية القوى اليمينية داخل السلطة وخارجها ، ويضيق الخناق على العناصر والقوى التقدمية ، تضييقا تبدأ معه مرحلة العد العكسي للثورة ، فتشهد الجماهير القمع والملاحقات ، مما يدفعها لخيبة الامل التي عقدتها على الثورة ونظامها ، ويعيد الى ذاكرتها مظاهر القمع والاضطهاد التي كانت تعيشها في العهد الرجعي المباد ، اعادة من شأنها توسيع التناقض بينها وبين فئة الحاكمين ، مما يدفع هؤلاء الحاكمين للاقتراب من بقايا الطبقات الرجعية ، ويفسح في المجال لقوى الارتداد بالعمل على تصفية منجزات الثورة وازالة الاشخاص الذين يقفون الى جانب المحافظة على الثورة ومنجزاتها ، فيزداد افقار الجماهير وترتفع وتيرة اضطهادها !..

ان نهج الحياد لا مضمون له
غير الانتهازية
وليس هناك بلد محايد
بالمعنى العلمي والموضوعي للكلمة

□ □ □

« ان الذي يعترف باسرائيل هو عدو لهذه الحركة
وعدو لقضية الحرية وعدو لقضية التحرر »

مما تقدم ، نلحظ ان العملية لا تتم بوعي وتخطيط من قبل البورجوازية الوطنية منذ البداية ، وانما تحكمها التطورات الموضوعية التي تنجم عن نهوض حركة الجماهير الشعبية ومطالبتها بمزيد من التغيير وبمزيد من الاصلاح الزراعي والتأميمات وتعزيز مزارع الدولة ومؤسساتها الصناعية والتجارية والمالية ، لدرجة تفوق قدرات هذه البورجوازية وتهدد مصالحها الطبقية ، فتجذير الاصلاح الزراعي ، يعني تخفيض الملكيات الخاصة الى ادنى حد تمهيدا لالغائها واحلال الملكيات التعاونية والمزارع الحكومية محلها . وتجذير القطاع العام في ميادين الصناعة والتجارة والمالية ، يعني هيمنة الدولة على هذه القطاعات وتقليص دور البورجوازية الى اضيق الحدود تمهيدا لالغائه بغية ايجاد الاساس المادي ـ التقني للاشتراكية !..

ومعلوم فان هذه التطورات تخيف البورجوازية فتعمد الى لجم حركة الجماهير وقمعها . بيد ان العملية التطورية التي تسبق مرحلة التراجع بقدر ما تتحقق بدفع من قبل البورجوازية وبفضل اجراءاتها ضد الاقطاع والرأسمالية الاحتكارية ، فانها تقود البورجوازية الى مخاطر السير نحو نقيضها : الاشتراكية ، فتصطدم بحركة جماهيرية شعبية ديمقراطية ناهضة تطالب بمزيد من الاجراءات السياسية والاقتصادية والثقافية الجذرية ، من جهة ، وبحركة بقايا الطبقات الرجعية المدعومة من قبل القوى اليمينية في السلطة من الجهة الاخرى !..

ان موازين القوى هي التي تقرر طبيعة الحسم ، ان كان لصالح حركة الجماهير الشعبية الديمقراطية ، ام لصالح القوى اليمينية في السلطة ، التي يدفعها صراعها مع حركة الجماهير لتوطيد تحالفها مع بقايا الطبقات الرجعية . وخلال عملية الصراع هذه يتسم التراجع والارتداد ، بطابع الوعي والتخطيط ، بعد ان تنضج حركة الواقع الموضوعي ظروفه بشكل عفوي وفي غفلة من العناصر التقدمية في السلطة وفي الشارع !..

ويبقى السؤال عن طبيعة الظروف التي دفعت بورجوازية هذه البلدان للثورة ؟

لقد سبقت الاشارة الى مؤتمر باندونغ ، واذا ما رجعنا اليه ، وعلى وجه التحديد الى شهر نيسان ١٩٥٥ ، لشهدنا انعقاد اول لقاء دولي لبلدان حركة « الحياد » في باندونغ . وكان المع قادته نهرو وتيتو وشوان لاي وسوكارنو . وقد رسم لقاء باندونغ نهج حركة « الحياد وعدم الانحياز » الوسطي الذي يعتبر البلدان المتخلفة معسكراً ثالثاً وعليها ان تتخذ موقفاً « محايداً » من الصراع الدائر بين المعسكرين : الاشتراكي والرأسمالي . وان تهتم ببناء بلدانها وتعمل على حل المنازعات وتسويتها بالوسائل السلمية كالمفاوضات والتوفيق والتحكيم والاحتكام للمحاكم الدولية وكل وسيلة سلمية تختارها البلدان المعنية وفقا لميثاق الأمم المتحدة . ومنذ لقاء باندونغ بذل قادة « الحياد » جهودا متواصلة من اجل تكريس حركتهم ولذلك عقد عبد الناصر وتيتو ونهرو عام ١٩٥٦ اجتماعا في بريوني اكدوا فيه من جديد مبادىء باندونغ العشرة واوصوا بضرورة عقد مؤتمر للدول غير المنحازة . فانعقد في عام ١٩٦١ المؤتمر الأول في بلغراد وانعقد المؤتمر الثاني عام ١٩٦٤ في القاهرة وفي عام ١٩٧٠ انعقد المؤتمر الثالث في لوساكا عاصمة زامبيا .

ثم تعاقبت المؤتمرات الواحد تلو الآخر ، حتى بلغت هذه الحركة مأزق عجزها الراهن !..

واضح ان احلام اقطاب « الحياد » قد تجاوزتها حركة التطور الموضوعي على الصعيد العالمي ، تجاوزاً ، لم ينجم عن مثالية فكرة « الحياد » ، والاحلام الذاتية الحلوة التي راودت اقطابها ، فحسب ، وانما نجم اساساً عن الطبيعة العدوانية للامبريالية ومصالحها التي تدفعها لابقاء بلدان القارات الثلاث خاضعة لها . مما جعل بورجوازية هذه القارات عاجزة عن التمسك بـ « حيادها » ، فكان بلوغها لمأزقها الراهن امراً طبيعياً !..

اقول امراً طبيعياً ، لكونه وليد ظروفه الموضوعية . ويكفينا تدليلاً على ذلك ان نلحظ ان بورجوازية البلدان الاوروبية ، ما كان بوسعها بلوغ النجاح الذي بلغته بقيادة ثورتها الرأسمالية ، لو لم تكن ظروفها الموضوعية مؤاتية وملائمة !..

ان حركة سياسية عندما تقع بتناقض تناحري بين الجماهير واعدائها ، لا يمكنها ان تطرد ولا بد ان تقع فريسة العجز . ذلك ان الجماهير لا يمكن ان تكون محايدة ، ولا بد ان تناهض من يتردد عن التعبير عن مصالحها ومن لم يقف الى جانبها ويحقق اهدافها ، مثلما تنحاز لمن يحقق مصالحها ويلبي حاجاتها !..

اما اذا جلب انتباهي قارىء لطبيعة الانتماء الطبقي في نجاح بعض القادة بمتابعة طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ، والانتقال للاشتراكية، فلي ان أجلب الانتباه بدوري لمقولة القائد الكوبي الكبير كاسترو ، التي تقول : ان الثائر المخلص والمتمسك بنهجه الثوري لا بد ان ينتهي للالتزام بالمنهج العلمي الاشتراكي ، الذي يقود حتماً لمزيد من الاقتراب من الجماهير ويعزز الحرص على تحقيق مصالحها . واذا كنا موضوعيين لا بد ان نعترف ونحن نفسر عجز بورجوازية بلداننا عن نقل مجتمعاتنا الى مصاف الدول المتطورة ... لا بد ان نعترف بكون حالة العجز التي انتهت اليها البورجوازية ، يقابلها نجاح مطرد حققته جماهير بلداننا الشعبية بقيادة طبقتها العاملة وحزبها الشيوعي الثوري ، ليس في تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية . فحسب ، وانما بجعل منجزات الثورة اساساً مادياً وتقنياً للانتقال للاشتراكية !..

ان الجماهير لا يمكن ان تكون محايدة
ولا بد ان تناهض
من يتردد عن التعبير عن مصالحها
ومن لم يقف الى جانبها
ويحقق اهدافها
مثلما تنحاز لمن يحقق مصالحها
ويلبي حاجاتها

واذا ما رجعنا الى الماضي البعيد ، فسنلحظ ان الطبقة العاملة قد بدأت حركتها من اللاوعي لواقعها ، ثم تطور وعيها الى ضرورة الثورة واقامة مجتمعها الاشتراكي على انقاض مجتمع البورجوازية الرأسمالي . وبهذا الصدد يقول فريدريك انجلز :

« يوم رفعنا شعار : يا عمال اتحدوا ، في عام ١٨٤٨ ، لم يتجاوب معنا سوى بضعة اصوات فقط »(٤) . اما اليوم فان الاشتراكية تشغل النقيض المشتبك مع العدو الامبريالي على صعيد العالم كله !.. »

ان الطبقة العاملة، قد نجحت فيما عجزت عنه البورجوازية ، من بلدان قاراتنا الثلاث وبعض القارة الاوروبية . فالأولى بدأت من اللاوعي الى وعي ضرورة الثورة واطراد نجاحها . اما الثانية ، فقد بدأت من اللاوعي للتناقض بين مصالحها الطبقية وبين شعارات الجماهير التي تتقدمها شعارات التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة القومية والنضالية . فراحت تتبنى هذه الشعارات بحماس دفعها لمأزق التناقض ، دفعاً جعلها تعي خطورة متابعة السير بطريق الثورة على مصالحها ، لذلك انحرفت ثم ارتدت وارتمت باحضان اعداء الشعب الذين ثارت عليهم !..

فنحن ، اذن ، امام لا وعي يتحول الى وعي لضرورة اطراد الثورة ، مقابل لا وعي يتحول الى وعي لضرورة الانحراف عن الثورة والارتداد عن منهجها !..

لقد ابتعدت عن مجرى البحث ، لكي اغطي الملابسات التي قد يثيرها تبريري لعجز البورجوازية ، لذلك ينبغي ان نعود لموضوع بحثنا، لنستكمل رؤية الظروف العالمية التي ساعدت على نشوء ظاهرة حركة « الحياد » . ولدى الرجوع لتلك المرحلة ، فسنجد ان مجتمعات هذه الحركة ، قد قطعت شوطاً ملحوظاً على طريق تطورها الاقتصادي ـ الاجتماعي والثقافي والسياسي ، خلال الفترة منذ الحرب العالمية الأولى حتى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية . اذ حقق معظمها استقلالاً سياسياً وان كان نسبياً ، وبلغ درجة متقدمة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية بالقياس لحالة الاستعمار والتبعية الكلية التي كانت سائدة قبل الحرب ، مما اكسب قادة هذه المجتمعات ثقة عالية بالنفس وبالقدرة على ادارة شؤون بلدانهم . وقد تحقق ذلك كله في الظروف التي اعقبت الحرب العالمية الثانية حيث خرجت الدول الاوروبية الاستعمارية منهوكة القوى ، بعد ان طحنتها الحرب ، واستنزفت قواها !..

وفضلاً عن حالة ضعف الدول الامبريالية فان الاعداد لحركة « الحياد » وعقد مؤتمرها الأول ، كان وليد الظرف الدولي الناجم عن النهج الخروتشوفي الاصلاحي الذي دفع الاتحاد السوفياتي الى التخلي عن نهج الثورة المسلحة واعتبار ذلك تطرفاً غير مبرر ، مما خلق انقساماً في صفوف الحركة الشيوعية والعمالية ، وانعكس سلباً على دورها وقلل من نفوذها باوساط حركة التحرر الوطني على صعيد بلدان القارات الثلاث . الأمر الذي دفع القيادات البورجوازية الوطنية ، لتتصور امكانية شق طريق ثالثة بين الاشتراكية والرأسمالية ، فكان اجتماع بريوني ، وكانت حركة « الحياد » التي

(٤) ماركس ـ انجلز ـ المختارات م. الأول . وراجع : هاشم علي محسن : دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية : المرجع السابق ص ١٦٠ .

انتهت الى وكر من الأوكار التي يتجمع فيها الجواسيس والعملاء الذين ارتبطت مصالحهم مع مصالح الامبريالية والصهيونية والرجعية !..

ان بعض اعضاء الحركة الحاليين ، قد اوصلتهم الامبريالية الى مراكز السلطة التي يشغلونها ، كما ان بعضهم الآخر تنكر لماضيه الوطني بعد ان ادرك عمق تناقض مصالحه مع اطراد التحول الوطني الديمقراطي المؤدي لسلطة الجماهير الشعبية والانتقال الى الاشتراكية ... تنكر لماضيه الوطني بعد ان تبين له خطر صعود حركة الجماهير وتنامي دورها ، على مصالحه ، فالتحق بمعسكر الامبريالية والصهيونية والرجعية ، التحاقاً اصبح معه معادياً للوطنية والتقدمية واداة بيد اعداء شعبه ! ..

واذن ، فان المرحلة الراهنة ، التي تمر بها الحركة ، غير المرحلة التي نشأت فيها . قبلاً كان القادة ما يزالون يحملون رايات الثورة والحرية ، وكان الظرف العالمي يحفزهم لانتهاج طريقهم الثالث ، اما اليوم ، فان معظم اعضاء الحركة مرتبطون بمعسكر اعداء شعوبهم ، علاوة على ان المرحلة الراهنة تتطلب قيادات شعبية ثورية من طراز جديد !..

لكل ما تقدم ، فان القذافي كان يقول الحق بجرأة متناهية ، حين خاطب المؤتمرين :

« انني لم آت لكي ادنس نفسي امام ثوار العالم بان اجلس الى جانب رئيس زائير او الكاميرون او ساحل العاج . فلا يليق بثائر مثلي ان يجلس مع هؤلاء الخونة الجواسيس الذين يعترفون باسرائيل ...

انني لم آت لاجلس معهم ولكن لاعلن براءتي منهم ومن الحركة التي تضمهم حيث لا يمكن باي حال من الاحوال ان احضر اي تجمع هؤلاء » .

في الذكرى الثالثة عشرة لسقوط الديمقراطية

التشيلي : باب التغيير المفتوح

ترافقت الذكرى الثالثة عشرة لسقوط الديمقراطية في التشيلي مع محاولة اغتيال الديكتاتور التشيلي الجنرال اوغستو بينوشيه بينما كان عائداً من مسكنه الريفي الى سانتياغو . والمفارقة انه تعرض لمحاولة الاغتيال في التاريخ ذاته الذي قام به بالانقلاب العسكري الفاشي الذي اطاح بحكم الوحدة الشعبية بعد اغتيال المناضل الرئيس سلفادور الليندي الذي استلم السلطة بمساندة القوى التقدمية في التشيلي عن طريق البرلمان البرجوازي وذلك في الرابع من ايلول ١٩٧٠ .

وقد اعلنت « الجبهة الوطنية ـ مانويل رودريغيز » اليسارية التي تقول الحكومة انها مرتبطة بالحزب الشيوعي المحظور مسؤوليتها عن محاولة الاغتيال .

وعلى الفور ، اعلنت السلطات العسكرية في التشيلي حالة الطوارىء في البلاد لمدة تسعين يوماً . وخلال ساعات من الاعلان كانت اعداد كبيرة من رجال الجيش والشرطة تنتشر في النقاط الرئيسية في سانتياغو في الوقت الذي كانت فيه قوات اخرى تجري عملية تمشيط واسعة النطاق في المنطقة التي جرت فيها محاولة الاغتيال .

وفيما بعد ذكرت السلطات العسكرية في التشيلي ان المتهم الرئيس في محاولة الاغتيال هو ابن سفير التشيلي السابق في بريطانيا خلال حكم الرئيس الاشتراكي الليندي .

ان محاولة الاغتيال أتبعت بحملة اعتقالات طالت مختلف اوساط المعارضة والصحافة والشبيبة واوساط الجماهير وذلك بعد اعلان بينوشيه ان « الحرب على الماركسية اندلعت وهي ستبدأ من جانبنا ... اننا سنكون قساة » . اما سبب ردة الفعل العنيفة لدى الفاشيين فتعود الى القفزة النوعية التي شكلتها محاولة الاغتيال في نضالات الحركة الوطنية التشيلية . فقد تجاوزت العملية المسيرات والتظاهرات وايام الاحتجاج وقطع الطرق والتحركات السلمية نحو المزيد من الجذرية باعتماد اسلوب الكفاح المسلح كوسيلة للرد على فاشية بينوشيه وممارساته القمعية .

ان بينوشيه كاد يقضي نتيجة محاولاته الحفاظ على السلطة في الوقت الذي تسلم به الحكم عنوة مدعيا معالجة تفاقم الازمة العامة . فهل استطاع بينوشيه ان يعالج تفاقم الازمة ام لا وبالتالي كيف تجلى اصطفاف القوى السياسية تجاه الازمة ؟ وكيف نمت وانتظمت الحركة الشعبية في ظل قمع النظام العسكري الفاشي ؟

ان الجواب على التساؤل حول ما مدى استطاعة بينوشيه معالجة تفاقم الازمة العامة يدفعنا الى القاء الضوء على سياسته الاقتصادية ونتائجها .

السياسة الاقتصادية لنظام الطغمة العسكرية ونتائجها :

عمدت طغمة بينوشيه العسكرية الفاشية الى خلق مناخ ملائم للنشاط الرأسمالي الخاص وتغلغل رأس المال المالي الاجنبي ، وتحديداً الاميركي في اقتصاد البلاد على نطاق واسع وذلك تحت شعار « الفاشي » الاقتصاد الوطني !

« ولهذا الغرض لجأت الطغمة الى خدمات مجموعة الخبراء مما يسمى بـ « مدرسة شيكاغو » التي كلفت باعداد التوصيات حول استراتيجية التنمية في البلاد انطلاقاً من المعتقدات الاقتصادية لهذه المدرسة .

ويتلخص جوهر « الطراز الجديد » المقترح للتنمية والذي اعتمده النظام فيما يلي[1] :

ـ اعتبر القطاع الرأسمالي الخاص العامل على اساس « علاقات السوق الحرة » القوة المحركة للتنمية .

ـ طرحت مهمة « تحديث الاقتصاد الوطني بهدف رفع قدرته على المنافسة في السوق الرأسمالية العالمية واقترح من اجل ذلك التخلي عن سياسة الحماية الجمركية الصارمة ودعم مجالات الانتاج الوطني .

ـ اعلنت سياسة « الانفتاح » تجاه الشركات المتعددة الجنسيات وجذب الرأسمال الاجنبي الى البلاد بكل اشكاله على نطاق واسع .

هذه الممارسة ادت عمليا الى تعزيز مواقع الشركات الاجنبية والبرجوازية المحلية الكبيرة ، وبيع العديد من مشاريع الدولة ، ومن ضمنها معامل النسيج التي كانت على حافة الافلاس الى رجال الاعمال في القطاع الخاص . وقد سلك النظام العسكري نهج التعاون الموسع مع الرأسمال الاجنبي ، ولهذا قررت الطغمة الانسحاب من حلف الاند ، لانه يقيد حريتها ازاء الرأسمال الاجنبي الذي حصل على حقوق متساوية مع رجال الاعمال المحليين .

وخلال فترة ١٩٧٤ ـ ١٩٨١ صادقت اللجنة الخاصة بتوظيفات الرساميل الاجنبية على ٧١٦ مشروعاً يساهم فيها المستثمرون بما مجموعة ٦,٤ مليارات دولارات . وقرابة ٨٠ بالمئة من هذا المبلغ كان من نصيب توظيفات الاحتكارات الاميركية العاملة في مجال استثمار المواد الخام المعدنية .

وتتغلغل بصناعة التعدين كبريات الاحتكارات الاميركية الشمالية . وبالرغم من ان المناجم ظلت شكلياً تابعة للملكية الدولة الا ان الاحتكارات الاميركية استعادت مواقعها المسيطرة على صناعة النحاس التي تعد الفرع البالغ الاهمية في اقتصاد البلاد . كما يتغلغل الرأسمال الاجنبي ، وبالدرجة الاولى الاميركي ، بصورة مكثفة في صناعة النفط التي كانت على مدى عشرات السنين ملكاً للدولة .

الازمة الاقتصادية الخانقة :

ان التدابير التي اتخذتها حكومة بينوشيه لم تسلك كما خطط لها فلقد واجهت ازمة اقتصادية هي امتداد للازمة التي تشمل العالم الرأسمالي والركود الاقتصادي المديد الذي يعاني منه .

فان محاولات تحقيق نمو اقتصادي ما على اساس التعجيل بالتصدير بشتى السبل اصطدمت بالطلب الضعيف في البلدان الرأسمالية المتطورة وبالعقبات الجمركية التي

اخذت هذه البلدان تحمي بها اسواقها الخاصة . وفي ظروف سياسة « الانفتاح » تجاه الرأسمال الاجنبي والتخلي عن تدابير الحماية الجمركية للانتاج الوطني ، فقدت التشيلي القدرة على التصدي لضغط الشركات المتعددة الجنسيات .

ولقد باتت تبعية تشيلي الاقتصادية المالية للدول الامبريالية تظهر بوضوح في اواسط السبعينات حين انخفض حجم الانتاج (الناتج الداخلي الاجمالي) بنسبة ١٣٪ تقريباً .

وقد نشأ وضع متأزم حاد في الصناعة التحويلية المعدة اساساً للسوق الداخلية . فخلال سنة ١٩٨٢ انخفض الانتاج ١٥٪ ، مما ادى الى عدم تشغيل قسم من الطاقات الانتاجية بصورة كافية وتقلص اسبوع العمل ، وافلس كثير من المشاريع وتعرض العمال للتسريح بصورة جماعية . ففي سنة ١٩٧٧ افلست ٢٢٨ شركة و٣٢١ سنة ١٩٧٨ ، و٣٦٨ في سنة ١٩٧٩ . و٤٢٧ في سنة ١٩٨٠ . وقرابة ٥٠٠ شركة في سنة ١٩٨١ .

وفي اجواء الازمة الاقتصادية اهتزت الارض تحت اقدام السند الرئيسي للنظام اي الاوليغارشية المالية المحلية وقد وصفت الصحف التشيلية انهيار « بنكو دي شيلي » وهو اكبر بنك خاص بانه « هزة ارضية مالية حقيقة»، كما اصيبت بالافلاس بنوك اخرى .

وقد طالت الازمة ايضاً الانتاج الزراعي وذلك نتيجة لانخفاض حصة المساحات المزروعة بـ ١٤ نوعاً من المحاصيل الرئيسة في سنوات ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ بمعدل ١٧٪ ولقد تضرر الانتاج المعد للتصدير كما تقلصت المساحات المزروعة بالحبوب بشكل اساسي .

اما على صعيد الميزان التجاري ، فلقد كانت الاستيرادات تزيد باستمرار على الصادرات الامر الذي اوصل العجز في الميزان التجاري في سنة ١٩٨١ الى ٢,٤ مليار دولار . وارتفعت بصورة جامحة ديون شيلي الخارجية .وفي سنوات ١٩٧٤ ـ ١٩٨٢ استدانت اكثر من ٢٤ مليار دولار من المصادر الخارجية . وقد غدت التشيلي من اكبر المدينين في اميركا اللاتينية ففي عام ١٩٨٣ بلغت ديونها ٣٠ مليار دولار ، بعد البرازيل والمكسيك .

ان عبء الازمة الاقتصادية انعكس على كاهل الطبقة العاملة والفئات الكادحة الاخرى في التشيلي ، فالبطالة والحرمان أتيا نتيجة

للركود في الانتاج الصناعي والبناء وافلاس المشاريع بالجملة . وقد اصبح الاتجاه نحو تقليص فرص العمل هو السمة المميزة . ففي عام ١٩٧٩ انخفض عدد العاملين في الصناعة التحويلية قياساً الى العام ١٩٦٩ بنسبة ١٩٪ ، وفي البناء بنسبة ٤٦٪ ، وفي الزراعة ١٥٪ ، وقد شملت البطالة ٢٩,٢ بالمئة من اجمالي السكان القادرين على العمل .

وقد عانت الفئات الشعبية من سوء توزيع الدخل ففي عام ١٩٨٠ ، حصل ٩٠ بالمئة من السكان على ٤٠٪ فقط من اجمالي الدخل في حين حصلت الفئات الميسورة وهي لا تشكل سوى ١٠٪ من السكان على ٦٠ بالمئة من الانتاج .

ان وجود بينوشيه على رأس السلطة ادى الى تعميق الازمة خاصة ، وان ازمة النظام مفتوحة على مصراعيها وبالتالي سيصعب على النظام الفاشي ان يغلف طبيعة نظامه وسيشدد ، ضرورة ان يحافظ على السلطة اما بالترغيب او بالترهيب فكيف تم ذلك ؟

خصائص نظام بينوشيه السياسي :

ان فترة حكم بينوشيه تميزت ولا تزال بالصدامات الدموية والقمع لمختلف الفئات . ان الحفاظ على السلطة مهمة اصبحت صعبة في ظل الازمة الاقتصادية والسياسية التي تعصف بالتشيلي والتي تترك المجال واسعاً امام القوى الثورية للتحرك .

ان عناوين فترة حكم بينوشيه منذ استلامه السلطة تتلخص بظاهرتين رئيستين : ١ ـ من ناحية عملية القضاء على النظام الديمقراطي السابق مع ما يعني ذلك من الغاء لمؤسسات وملاحقة لمنظماته واعضائه من خلال مختلف الاساليب : الاغتيال ، التصفية ، الاعتقال ، الخطف ، العزل . ٢ ـ من ناحية اخرى ، تم تطوير القوات المسلحة على حساب القطاعات الانتاجية الاخرى بغية الحفاظ على النظام وارساء أسسه .

ان الاحتقان الشعبي عبر عن نفسه من خلال حالات الاحتجاج والتظاهرات التي كانت تلعب الشبيبة الدور الاساسي فيها . ونتيجة لازدياد النقمة عمد النظام العسكري الى محاولة تنفيس التحرك والغليان عبر تطبيق سياسة « الانفتاح » عام ١٩٨٠ .

بيد ان الازمة المتفاقمة لم تتح لبينوشيه مجالا للتضليل ، فعاود القمع الشديد الذي تصاعد مع التحركات الشعبية المعادية للاحتكارات وللسياسة الاقتصادية المتبعة . مما ادى الى فرض حالة الطوارىء عام ١٩٨٤ وانهاء لسياسة « الانفتاح » من قبل النظام .

ان ممارسات نظام بينوشيه الفاشي ادى الى اصطفاف طبقي حمل في مجمله العداء له .

الاصطفاف الطبقي في التشيلي :

ان خريطة القوى السياسية في التشيلي تحمل الكثير من الدلائل حول تطور وضع الاحزاب والقوى السياسية والاصطفاف الطبقي تجاه النظام القمعي .

فكيف توزعت المواقف[٢] ؟

خلال المرحلة الاكثر رجعية للنظام العسكري بين العام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٦ الغيت الحريات السياسية ووضعت الاحزاب في اطار غير شرعي وموارس قمع عنيف جداً ضد الاحزاب اليسارية التي انتقلت الى مرحلة السرية .

وقد عرف الحزب الديمقراطي ـ المسيحي مواقف اكثر عدائية من النظام ، ولكنه كان غير قابل للتحالف التام مع الاحزاب اليسارية وذلك لكون مصالحه لا تتفق تماما معها .

وقد قامت الكنيسة خلال تلك الفترة بدور سياسي هام اذ كانت تدعو لحماية حقوق الانسان وقد تحول هذا الدور فيما بعد الى عامل هام في عملية اعادة تشكيل المنظمات الجماهيرية مما ادى الى ان تصبح الكنيسة العامل العلني شبه الوحيد في وجه الطغمة العسكرية .

من ناحية اخرى ، كان الميل واضحاً نحو الانقسام في الحزب الاشتراكي الذي زاد من

خلال انقسام اساسي عام ١٩٧٩ وهذا بدوره ادى الى عمليات تجديد ونقد ذاتي .

اما على صعيد الحزب الشيوعي التشيلي فلقد كان واضحاً انه وجد عمله الاساسي نحو القطاع الشعبي .

ولاستكمال الاصطفاف الطبقي لا بد من الاشارة الى وضع الحركة الثورية الممثلة بـ « المير » التي تلقت ضربات واصبحت ذات تأثير ضعيف .

نمو الحركة الشعبية :

وقد ترافق الاصطفاف الطبقي مع بداية نمو الحركة الشعبية وبداية النهوض الوطني وبالتالي تميزت هذه المرحلة بظهور واضح لتحركات احتجاج تعبر عن غضب شعبي ونقمة الطبقات والفئات الشعبية وقد انطلق « الاحتجاج » الاول في ايار ١٩٨٣ كمبادرة من المنظمات النقابية الكبرى .

ان تطور الحركة الشعبية قد قفز قفزة نوعية بمحاولة اغتيال بينوشيه . ماذا يعني ذلك ؟

خلاصة واستنتاجات

ان عجز بينوشيه عن حل ازمة نظامه الاقتصادية يدلل على فشل نظام الطغمة العسكرية الحاكمة وبالتالي امكانية اسقاطها عبر توحيد القوى الثورية وتعبئة الشعب . وقد دللت محاولة اغتيال بينوشيه عن مستوى الجرأة الذي وصلته الحركة الشعبية في التشيلي ، وتصميمها على نزع رأس السلطة السياسية ورمزها .

ان الحركة الشعبية في التشيلي مطالبة بالمحافظة على المستوى المتطور لعملها العسكري ، والذي تمثل في محاولة الاغتيال ، بغية اسقاط الديكتاتور بينوشيه والاستفادة من دروس تجربة الليندي وعدم التساهل مع اعداء الشعب عبر تسليح العمال والجماهير الكادحة لضرب الرجعية[٣] .

مهى سمارة

المصادر :

(١) التوسع الاقتصادي للولايات المتحدة : اميركا اللاتينية ـ سلسلة قضايا العالم المعاصر .

(٢) مجلة « اميركا اللاتينية » ترجمة جزء من مقال حول الاحزاب السياسية في التشيلي .

(٣) دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية . راجع مقال هاشم علي محسن « تجربة التشيلي بين الاصلاحية والطفولة اليسارية » .

الفليبين :

أكوينو تحاول تخفيف أزمة نظامها

كان واضحاً وجلياً النهج الذي ستسير كورازون اكوينو عليه بعد اعتلائها سدة الرئاسة في الفليبين بـ « معونة » اميركية .

اليوم ، تحاول اكوينو ان تواجه ازمة نظامها على خطى سلفها ماركوس الفاشل ، وذلك بضرب قوى الثورة في البلاد . وهي بعد فشلها في احتواء الحزب الشيوعي الفليبيني، وضرب قواته العسكرية « جيش الشعب الجديد » . لجأت الى مخادعات جديدة أبرزها خطوتان :

ـ الاولى تجسدت بمحاورة المتمردين المسلمين ومحاولة استرضائهم ، عبر وعود بالحكم الذاتي وتطوير مناطقهم . وعبر استمالة قادة قبائل متمردة والاشراف على « مصالحتهم » مع قادة جيش الفليبين، ضمن محاولاتها لتفكيك القوى المناوئة لها ولحصار الشيوعيين سياسياً وعسكرياً .

ـ الثانية برزت من خلال زيارتها للولايات المتحدة وطلب المساعدات الاقتصادية لحكومتها « لدرء خطر الشيوعية » . عبر اعادة جدولة الديون الخارجية المترتبة على البلاد وقدرها ٢٦ مليار دولاراً .

يتضح كما سبق وذكرنا في مقالات سابقة ان ديمقراطية اكوينو الشكلية ، لن تنجح بحل مشاكل الشعب الفليبيني، بل ستزيد من طموحاته للثورة والتغيير .

البنتاغون مصدر « الايدز »

دلت ابحاث العالمان الفرنسيان جاكوب .وليلي سيغال ان مرض الايدز (فقدان المناعة المكتسبة) ، هو نتيجة تجارب صنع السلاح الجرثومي في الولايات المتحدة . حيث دلت ابحاثهما ان فيروس الايدز هو في تركيبة نتاج اصطناعي تم الحصول عليه نتيجة التلاعب بجينات الانسان . وقد سبق لوزارة الدفاع الاميركية ان انشأت بالعام ١٩٧٧ في فورت دتريك (ولاية ماريلاند) مختبراً اجريت فيه تجارب على جينات المساجين . مقابل وعد باطلاق سراحهم لاحقاً اذا ما خرجوا احياء .

عام ١٩٧٩ سجلت اولى حالات الايدز بعد اطلاق سراح المساجين . وبعد ٣ سنوات برزت في افريقيا واوروبا الغربية ، وقد يصاب عام ١٩٩٠ بالمرض خمسة ملايين شخصاً .

العدالة الاميركية

اعتقل المناضل الاميركي الاسود جون هاريس ، عضو الاتحاد الوطني للنضال ضد الاضطهاد السياسي والعنصري ، بتهم لفقت زوراً تدعي سرقته لمبالغ تراوحت بين ١١ و٢٠٥ دولارات . وقد حكم عليه بهذه التهم بالمؤبد خمس مرات .

وعندما تحرك المناضل هاريس بأوساط المساجين اتهمه الجلادون بقتل احد السجانين ، رغم انه لم يكن بمكان الحادث كما تبين لاحقاً . ونتيجة لذلك ، وبعد محاكمة صورية حكمت محكمة ولاية الاباما العنصرية على هاريس بالاعدام .

فما رأيكم بالعدالة الاميركية ؟!...

كما في السياسة والسياسيين ، كذلك في الثقافة والفن وأربابهما ، فالأزمة والتأزم يلفان الجميع ، ويشدان على خناقهم .

« الشاشة الصغيرة » تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وشقيقتها الكبيرة ، تاهت في خضم الانفلا ، وبدا شذوذها فاضحاً ، فهجرها روادها الأصليون ، وتبعها من راق لهم تحوّلها الغاوي .

اما المسرح فقد حجب الجبن والخوف رجالاته ، وحشروا انفسهم بين حاجاتهم المنسية ، فأكل الغبار « ابداعاتهم المتوهجة » ، وأحالها ركاماً من ركام الحرب ، التي ألفناها .

طموح للمسرح الشعبي

تدهشك حقاً ، في قمة الاختناق هذه ، جرأة تطمح بحماس شديد ، الى مسرح جاد ، بحدود الامكانات المتوفرة ، والرغبة الجامحة بخلق مسرح شعبي يومي .

« الطرطور » ، « الشهيد .. » و« الدبّور » ، اعمال لعبها احمد الزين ، تحت شعار المسرح اليومي (أنا لست خريج السوربون او المدارس الأهلية ، ولا أجيد فلسفة المسرح ، اقول بشكل بسيط واضح ، همي اليومي هو التعبير بالوسيلة التي اعرفها عن معاناتنا . وجدت نفسي مكبلاً بمزرعة اسمها لبنان ، مذهبك يحدد لك الخطوط الحمر ، التي لا يحق لك تخطيها ، تشعر دائماً في هذا البلد ، ان عليك دفع « فاتورة » ضريبة متواصلة ..) .

أزمة النص عند المتشدقين !؟

والكلام عن المسرح الشعبي ، يتمحور بالضرورة حول المفهوم الذي يحدد ماهيته ، ولا يخرج عن كونه ، مسرحاً يتناول معاناة الناس ، ويبين اسبابها ، مشخصاً الداء ، واصفاً الدواء ، ومحرضاً على ضرورة السعي لاتمام العلاج

احمد الزين في « الدبّور » :

خطوة جادة على طريق المسرح الشعبي

أزمة النص المسرحي عند المثقفين « المتشدقين بالوطنية »

المناسب (في الطرطور سخرنا من التسلط والقمع ، اللذين يدفعا الى المجهول . في « الشهيد .. » طالبت الجمهور برفض الواقع المرير : هبوا قولوا لا ، لا . والدبّور ينتقد الممارسات السلبية والاوضاع المعيشية الصعبة ، ولكن اساساً المشكلة ليست عندي . المشكلة عند اولئك المثقفين الذين يتشدقون من خلال جرائدهم ، ويدعون المقاومة والوطنية ، هم يتحملون مسؤولية ازمة النص المسرحي ،

□ نادية حمدي واحمد الزين ونعمة بدوي .

□ الزين وغادة نجم .

فليتفضلوا ويقدموا لنا النصوص الناجحة للمسرح الشعبي ، بدل ان يفلسفون لنا افكارهم حوله ، ويكيلون انتقاداتهم بينما نحن نجهد ونعاني لنقدم مسرحاً جاداً وشعبياً ..) .

« الدبّور » وحشد من الهموم !

« الدبّور » يبتدع نصاً يصدمك للوهلة الأولى ، مستوحى من مجريات اشتداد الحرب ، وتنوع افرازاتها ، من ويلات اصابت الناس وعوائلهم ، الى المشقات التي تعترض لقمة العيش .

ويطرح علينا مهنة جديدة من وحي الحرب ، يمسخها فتكون مهنة المخطوف . ولكن تحتشد التفاصيل والهموم المعيشية في النص فتثقله ، خاصة انه يتعاطى مع جانب يحكي موضوعاً فريداً من معاناة الناس ، يحتاج الى تركيز التفاصيل وحبكها بمتانة (تفاصيل كثيرة لم تكن من صلب النص ، ولكنها تحفر في أذهاننا على المسرح فنضيفها ، وتعلم كم من المشاكل اليومية التي تتكدس فوق رؤوسنا ، والموضوع الذي تعاطينا معه خاص واحتاج لجهد كبير من رفيق نصر الله وهذا النوع من الكتابة ليس في مجاله ولكنه متحمس للعطاء في المسرح) .

« المسرح الضميري » !؟

النص « الدبوري » مسخ مأساة المخطوف ، وجعلها مهنة للارتزاق ، فبدل ان نحزن ونبكي ، ضحكنا مرات ومرات ، وكنا امام فكرة كاريكاتورية ، لم تتقيد بالواقع ، وحولت مأساة المخطوف الى كوميديا شعبية (هناك شيء اسمه الكوميديا السوداء ، لا بد من تمرير هذه الأوجاع بابتسامة ، واعمالي التي قدمتها ، اسميها انا

المسرح الضميري) .

وانسجاماً مع موقف احمد الزين بعدم فلسفة المسرح الشعبي ، اطلق تسمية خاصة على مسرحه : « المسرح الصميري » . (انا بدأت حياتي بائع جرائد ، وعانيت شتى انواع الكبت والحرمان ، كل ذلك جمع بداخلي قهر وغليان ، فجرتهما بالفن الذي افهمه وأجيده ، كل اشكال التمثيل مارستها ، وكانت علاقتي بالناس كانسان عبر اذاعة صوت لبنان العربي (ابن البلد) . ويوم اقفلت الاذاعة ، اقفل صوتي الاذاعي ولم اعاود التجربة وعلاقتي هذه اكرسها من خلال المسرح) .

الدبور والخيط الرفيع

و« الدبور » من حيث هي كوميديا شعبية ، تتصل بخيوط رفيعة ، بتجربة « المسرح الوطني » ورائده الفنان الكبير حسن علاء الدين (شوشو) ، ولكن مسرحيتنا هذه ، تتعاطى مع مناخ مختلف وظروف مختلفة ، فالجهة التي تتهمها تتسع من الذات حتى سلطات الواقع الفلتان (قبل ان ابدأ تجربتي كنت أقول : انا متأثر بشوشو وهذه نعمة ، ولكنها تتحول الى نقمة اذا ارتضيت لنفسي تقليده ، التأثر شيء والتقليد شيء آخر ، انا لي شخصيتي ، ويمكن ان تنسب اسلوبي الى « كوميديا دولارتي » المشهورة ، ويمكن ان ينتهجها اي فنان ، اما التقليد فانه يلغيني كشخصية لها ميزاتها وهذا لا اقبله لنفسي) .

لقد اثبت احمد الزين تميزه ، وتألق في « الدبّور » ، وهو ذو الخبرة المشهود له ، فكان نجماً وكان مهرجاً بارعاً ، ملأ خشبة المسرح ، وذكّرنا بالفنان الكبير شوشو .

كذلك نعمة بدوي ، لعب الى جانب الزين بمهارة ، ولم يلحظ في ادائه ثغرات تذكر ، لقد فرض نفسه بقوة بفضل موهبته الملفتة .

النص والاخراج : بين العفوية والمهارة

النص الذي كتبه رفيق نصر الله كان نصاً شعبياً ، استقاه من عاميتنا العفوية ، كان يعوزه بعض التركيز والترابط والحنكة المسرحية ، لجعله أكثر ملاءمة للحبكة المسرحية ، منه لتجميع التفاصيل المطلوبة في توجيه الانتقادات . المخرج الشاب حسام الصباح في عمله الأول ، حاز ثقة من شاهده ، ولغتنا جديدة في مجال الاخراج ، وهو ادخاله « تابلوهات » متحركة ، فيها من الايمائية والرمزية ، تتقاطع مع احداث المسرحية ، لتصور حالات انسانية او مأساوية ، لكنها كانت تحتاج الى دراسة اكبر ، لدمجها في مجرى الحدث وبالتالي اغناء المحتوى المسرحي ، دون احداث انقطاع في الزمان ، او اغترابها عن المكان ، توخياً عدم التنافر بينهما وحفظ التسلسل المنطقي .

اما الديكور فقد كان بسيطاً ومريحاً ، وادى مهمته بنجاح ، وخلوه من التعقيدات السلبية ، سمح بالاستفادة من الزوايا ، بسهولة وديناميكية ، كما لعبت الاضاءة دورها في تزويده بالاتساع والانحسار المطلوبين .

تبقى الاغنية المحورة والتي نخالها للشيخ امام ، فلم يوفق الصباح في حشرها ، وبدت متسللة الى موقع لا مكان لها فيه .

واخيراً ، فرغم ان « الدبور » افتقدت التشويق المطلوب في سيرها ، والحبكة المسرحية لم تكن متماسكة وقوية ، ولكنها اي « الدبّور » جاءت في وقت ، أشد ما يعوزنا فيه المسرح الجدي .

سلمى حمزة ـ فؤاد رزق

فرقة مسرح الريف
تقدم « ابن الداية » في منيارة

بدعوة من رابطة العمل النسوي الديمقراطي

قدمت فرقة مسرح الريف ـ بزبينا في عكار مسرحية « ابن الداية » في الثالث عشر من ايلول الفائت ، وبدعوة من رابطة العمل النسوي الديمقراطي . وذلك في قاعة سينما نوفا ـ منيارة حضرها حشد من اهالي عكار والشمال .

قدمت العريفة نجاة قدور الاستاذ الياس عبود ممثلاً المؤتمر الشعبي العكاري حيث القى كلمة تحدث فيها عن اعمال المؤتمر ووجه تحية لابطال جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية في عيدهم وهنأ اهالي الشهداء والشهيدات ، وشكر في ختام كلمته رابطة العمل النسوي الديمقراطي على قيامها بالنشاطات الاجتماعية .

بعد ذلك القت الآنسة ماري موسى كلمة رابطة العمل النسوي الديمقراطي في الشمال . تحدثت فيها عن دور الرابطة في رفع مستوى شأن المرأة التي تعاني الاضطهاد والاستغلال . والقابعة في دوامة الجهل والتخلف . وأكدت على ضرورة انخراط المرأة في العمل الاجتماعي للعب دورها في المجتمع . وعاهدت النساء على الاستمرار في عملها حتى تحقيق اهدافها السامية في الامومة والتحرر والمساواة. وشكرت في ختام كلمتها الحضور وفرقة مسرح الريف . ووجهت تحية الى ابطال المقاومة الوطنية اللبنانية في عيدهم الذين يقاتلون العدو الصهيوني ويقضون مضجعه .

بعد ذلك قدمت الفرقة مسرحيتها حيث نالت اعجاب الحاضرين .

رفيقي يوسف !
في ذكراك الثانية : « العقد »
بخير

- ١ -

حين طفت الغول البشعة على الجميع ، وأخذت شفاهنا تتلمظ جوعاً .. والعرق يتصبب بلا انتاج .. والبئر أضحت بلا مياه .. والظلام مطبق ، قال لي « أظافرنا طويلة ، فقط لو ننبشها فيهم ، من قال إن الشعب يستسلم للظلم والجوع ؟ » ...

وانتظرتك يا رفيقي كل ليلة ، بحثت عنك في جميع المقابر ..

وانتظرتك يا يوسف ، حتى زقزقت العصافير على أغصان التعب .. وصاحت الديكة قرب الدار .. وأطلت الشمس من خلف ذاك الجبل ، تنساب منها أشعةٌ حمراء بين غيوم أيلول الداكنة ..

انتظرتك حتى ملأت البسمة شفاه الأطفال .. حتى زغردت جميع النسوة فرحاً .. حتى نَبَعَت البهجةُ من تلك الأرض التي ارتوت يوماً ـ أياماً ـ سنينا ـ من عرقك ولهاثك المتسلل الى رئتيها في حلكة الليل ..

أنا الآن ، فقط اشعر بك ؛ في كل مكان أشعر بك .. في « وادي الشيخ » نرجساً ينبت على صخرات صغيرات ، الوادي الذي يردد الصدى .. الصدى الذي يحتفل مع اولاد القرية .. اشم رائحتك في حبات الليمون الطالعة ـ مختالة مزهوة بنفسها ـ من بين بساتين الجنوب المعطاءة .. ها أنت تحت التينة أو الزيتونة .. في تلك الليلة القمرية أراك أغنية للثورة ، يشدوها الطير ... في كفّيْ والدك العجوز ؛ الذي أعجز الدهر عن اعجازه ؛ تلمعُ صورتك معولاً .. قضية .. اشعر بك يا رفيقي ، تنبعث من أحشاء امك ؛ التي لم تلدك ؛ فارساً قويا ... في هذه الرحلة الطويلة . رحلة الانتقال من زمنٍ الى آخر .. رحلة بهجتها في شدة إيلامها . فرحتها في قصوة عذابها ..

رحلة الانتقال من صوت الزمن الساكن الى صوت الزمن الراعد . صوت الحركة . الحرية . القيمة . الدين . اللغة . الثورة ...

- ٢ -

... الشمس طالعة من خلف ذلك الجبل . يشع منها أمل جديدٌ كان مائتاً .. دفع جديد نحو الحياة .. نحو الطريق القويم .. في زمن أنظمة الهزائم المتتالية والصمت الرهيب وصهينة العصر ..

ستشرق الشمس على أرجاء الوطن .. بلا طائفية .. الشمس لا دين لها .. الشمس الساطعة التي يشع منها نور جديد .. النور الجديد المصبوغ بالأحمر .. اللون الأحمر المصنوع من دمك ... ودم رفاقك ، يا يوسف ... أرى ذاك النور ، والعواصف عاجزة عن اطفائه .. أراه قادماً لا محالة .. من فوهة تلك البندقية .. فقط ... فقط ...

أرأيتم ؟ ... الشمس لا دين لها ، سوى الحرية ..

- ٣ -

... و« العقد » ... والعقد يا يوسف الذي حَمَّلْتنيه .. أحمله الآن في عنقي .. يتدلى بين نهدي .. يزين جيدي .. ينير لي الدرب ..والدرب طويل .. كل الناس أصبحوا يذكرون ذلك اليوم الذي حملتني فيه « العقد » .. أصبحوا يؤرخون فيه .. يومٌ كانت فيه الباخرة السوداء هنا .. كان الجبل يزداد شموخاً ، ثم ينحني كبرياؤه أمام عظمتك .. كان البحر يتهيأ لابتلاع الباخرة السوداء إيَّاها .. كانت الضاحية الضحية تنهض ..

« العقد » ما زال في عنقي يتدلى ببريقه الخاطف .. تشرئب اليه كل العيون فيزداد توهجاً .. لا تخشى مصيره يا رفيقي .. إنهم يعذبوننا .. ميساء جائعة يا يوسف ، وليلى مشردة وأطفالها ؛ فاطمة بلا مدرسة تأويها ؛ عليَّة أختك ارتدت بنطالاً كاكي اللون « لتنكش الحاكورة » .. وأنا عبثا أبحث عن عمل ؛ ومنى الصغيرة التي تحبها يا يوسف لا ملابس جديدة لديها يوم العيد ، وهلا تعمل في الحقل ، والدي ووالدتي ينتظرانك مع براعم الفجر ، أو بين الليل والنهار ..

... قلتُ لا ! لا ! « العقد » لا ! « العقد » الذي أعشقه وهو يعشقني لا مساومة بشأنه البتَّه .. كيف يجوز ؟.. أتهون علينا يا يوسف لنهين « العقد » .. لا ودمك الطاهر .. أموت ولا يمسُّونه .. أذهب أنا ، نذهب كلنا .. أمَّا « العقد »! لا ..

انهم أغبياء حتى العمى .. لا يدرون ان الجوع .. العطش .. التعب .. الظلم .. الخطف .. التشريد .. القتل .. غيابك يا رفيق .. كلها موادٌّ في قانون الصمود والتضحية والنضال .. على قاعدة الوفاء المستمر أبداً حتى انغراس اظافرنا في لحمهم .. وتطهير أرضنا من دنسهم .. والقضاء على آخر ذئب .. حتى تدمير قصورهم وبناء بيوتنا نحن الفقراء .. حتى بناء المصنع .. حتى تشييد المدرسة .. حتى غسل بطوننا من الجوع ..

يا شقيقي ، يا رفيقي الغالي ، نم قرير العين على تلك الهضبة التي تظللك بصدرها الناهد . لن ننتظرك .. انتظرنا أنت .. انتظر قدومنا يا رفيق . سيكون الليل كالنهار ، وتستحيل الزواريب مشاعل مضيئة .. مناظر خارقة .. سترتفع الراية هنا وهناك خفاقة عالية .. راية التحرير ؛ راية الديمقراطية ، راية الاشتراكية ، راية الوحدة ، راية التضامن الكفاحي الاممي .

الى اللقاء

شقيقتك الرفيقة مريم

حي القبة

حي القبة في حلبا ـ ككل مدن وقرى عكار المحرومة من كل نِعَم الحياة . فلا ماء ـ لا كهرباء لا مجارير ، ولا حتى زفت في شوارعه وطرقاته القليلة .

ان اهالي حي القبة ، من فقراء وكادحين ، يطالبون بعودة المياه الى مجاريها ، وهي المقطوعة منذ اكثر من عام .

صيانة التيار الكهربائي واصلاح الاعطال الدائمة .

رصف الطرقات وتنظيفها .

هذه مطالب حي القبة ... انها مطالب حلبا ... مطالب عكار ... مطالب كل المناطق الوطنية المحرومة .

خالد عياش

هي القبة ـ حلبا

طريق النضال

نحن على خط النار
نقاتل
وعلى درب الشهداء الابرار
والشعب المناضل
نقسم ان نقضي
على الغاصب الغدار
ونلاحق ما حيينا
السماسرة
المتاجرين بلقمة العيش
... والدولار .

سمير نصار البقاع

طريق الحرية

يا شمس اشرقي
يا نحلي امتصي الرحيق
يا حسون رفرف ...
وزقزق...
يا كنار ترغل
ويا منجل باليد القوية
تسحق كل خاين للقضية
شعارنا خريطة ومنجل ومطرقة .
ونجمة حمراء ...
ورشاش يخط طريق الحرية

سامر حيدر

لبعا ـ عين المير ـ صيدا

زجلية لكل الشهداء

يا فهد عنك جيت سائل
لقيت الدار منها الدمع سايل
وشفت الرفاق من بعد طول فراق
منهم الملتاع ومنهم السائل
عجيب ، ليش القدر يبس وردتك
قبل ما فتحت بين السنابل
الجواب جفف دمعتي بعيني
لما اجانا الرد، وسكّت كل سائل
درب الشهادة دربنا
والضرب بالنار على عنق كل مغتصب
سافل

زياد فرح
- بيروت -

قسم مقاتل

قسماً بوطني يا امي
قسماً بالمطرقة والمنجل
سأبقى بوطني يا امي
صامداً ومقيماً لن ارحل
قسماً برشاشي يا امي
لن استسلم سأقاتل
انا ابن العروبة يا امي
انا فلاح انا عامل
انا شيوعيٌ يا امي
انا فكر عظيم حامل
انا ابن الثورة يا امي
انا ثوري مناضل
قسماً بكَ يا حزبنا
سأبقى في وطني أقاتل

كمال مصطفى حجازي
بعلبك

الى الشهيد عبد الحكيم مصطفى

يا شهيد الدرب ... لن ننسى دماك

للاشجار الصامدة في عميق
لقمم الباروك الشامخة
لشتلة تبغ في الجنوب
وضعت رجلا في السجن
واخرى في القبر

يا نجمة مضيئة تنير الظلمات
يا شمعة انارت لنا الطرقات
هابوك لانك رجل المهمات الصعبة
قتلوك لانك المناضل والقضية
فذهبت لتخبر احمد(١) ...
انك استشهدت
لتبقى الثورة مستمرة

احببت لعبة الحرب
فوضعت السكين تحت وسادتك
وحملت القنابل بين يديك
لتوزع بيان الحزب يوم كنت فتياً

رفضت الخنوع للبكوات
فآمنت بالعنف الثوري
وعزمت على الثورة والطغيان
فالتزمت بالحزب
ولم تهب اعدائك
وتحديتهم «نعم إنني شيوعي »

لبيت نداء الحزب
فاتجهت للجنوب مقاتلاً
بصفوف المقاومة الشعبية مقاوماً
واثبت جدارة في مدرسة الحزب
فرجعت مناضلاً مجرباً
تعلمت ممارسة العنف الثوري
فامتعضت من الاصلاحيين واسلوبهم
وواجهتهم في القنطرة
واصبحت قائداً ومرجعاً لاهلها

حكيم
يا بطلاً من عيونك تقدح شرارة الثورة
تشر فوق الخنادق ... بنادق
فوق المزارع ... مناجل
فوق المصانع ... مطارق
تمر فوق الوطن المسلوب المجزأ
لترسم آفاق الوطن الجديد

حكيم
قسماً بدمائك الزكية
قسماً بكل نقطة دم روت ارض بلادي
قسماً ..
سنكتب اسمك برصاص ونار
سنخط حول صورتك شعاع يبرق للحرية
فلا الطائرات والبوارج
ولا مدافع الضباب العكرة
أرهبتك وحطمت صمودك

حكيم
ان فمي وقلمي يعجزان عن الوفاء
ولكن الوفاء في عيون حزبك المناضل
وسواعد رفاقك الابطال
لتستمر الثورة

راشد - طرابلس

(١) احمد : احمد حكمت كنعان استشهد على يد اليمين الفلسطيني اثناء الدفاع عن جبهة الرفض الفلسطينية .

منشورات الدار اللبنانية للتوثيق والنشر والتوزيع.

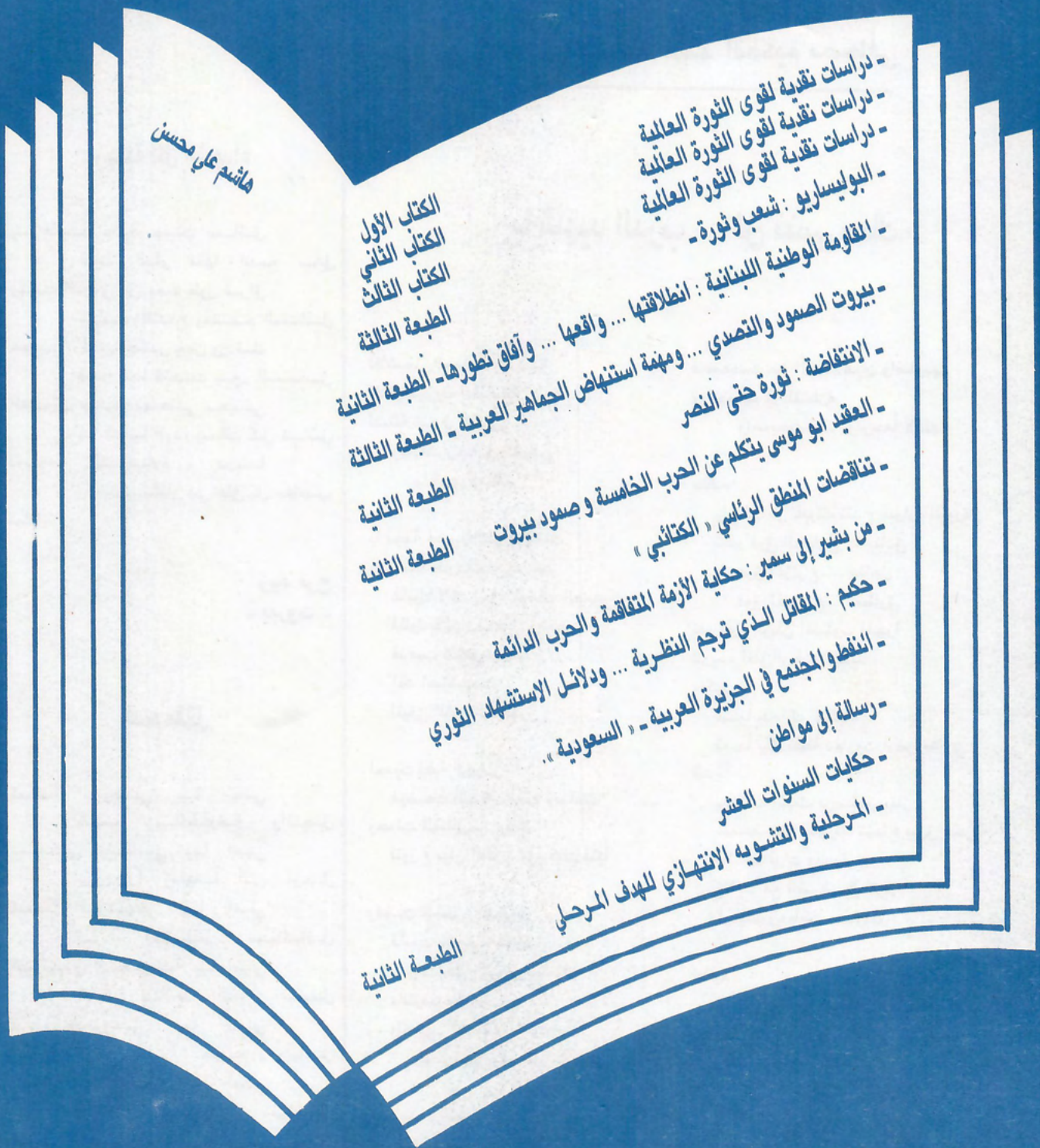

هاشم علي محسن

- دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية — الكتاب الأول
- دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية — الكتاب الثاني
- دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية — الكتاب الثالث
- البوليساريو : شعب وثورة. — الطبعة الثالثة
- المقاومة الوطنية اللبنانية : انطلاقتها ... واقعها ... وآفاق تطورها. الطبعة الثانية
- بيروت الصمود والتصدي ... ومهمة استنهاض الجماهير العربية. الطبعة الثالثة
- الانتفاضة : ثورة حتى النصر — الطبعة الثانية
- العقيد ابو موسى يتكلم عن الحرب الخامسة وصمود بيروت — الطبعة الثانية
- تناقضات المنطق الرئاسي « الكتائبي »
- من بشير إلى سمير : حكاية الأزمة المتفاقمة والحرب الدائمة
- حكيم : المقاتل الذي ترجم النظرية ... ودلائل الاستشهاد الثوري
- النفط والمجتمع في الجزيرة العربية - « السعودية ».
- رسالة إلى مواطن
- حكايات السنوات العشر
- المرحلية والتشويه الانتهازي للهدف المرحلي — الطبعة الثانية

تطلب من الدار اللبنانية للتوثيق والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ص.ب ٥٣٢٧/١٤